قسم اللغة العبرية وآدابها

محاضرات في علم اللغة العام

إعداد

د. محمد أحمد على

العام الجامعي

٢٠٢١/٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

بيانات الكتاب

الكلية	الآداب
الفرقة	الأولى – قسم اللغة العبرية وآدابها
التخصص	علوم اللغة
تاريخ النشر	٢٠٢١م
عدد الصفحات	١٧٣ صفحة

فهرس الكتاب

تمهيد :تعريف اللغة وعلم اللغة ٥
أولا : تعريف اللغة ٦
ثانيا : تعريف علم اللغة ١١
الفصل الأول : نشأة اللغة الإنسانية ١٦
نشأة اللغة الإنسانية: ١٧
الفصل الثالث : الفصائل اللغوية ٣٧
أولا : تصنيف اللغات إلى فصائل ٣٨
نظريات تقسيم اللغات الإنسانية إلى فصائل : ٤٠
ثانيا : اللغات السامية : ٦٠
تقسيم اللغات السامية : ٧٩
الفصل الرابع : تاريخ اللغة العبرية ٨٩
اللغة العبرية Hebrew Language ٩٠
الفصل الرابع : مناهج البحث اللغوي ١٠٩
أولا : مجالات علم اللغة ١١٠
ثانيا : مناهج البحث اللغوي ١١٢
الفصل الخامس : علم الأصوات اللغوية ١١٩
الأصوات اللغوية : ١٢٠
علم الأصوات ١٢٧
علم الأصوات النطقي ١٣١
مراجع الكتاب ١٧٣

تمهيد :تعريف اللغة وعلم اللغة

أولا : تعريف اللغة

هناك تعريفات كثيرة للغة عرفتها الدوائر العلمية المختلفة في شتى الحضارات، سواء عند اللغويين العرب أو اللغويين الغربيين ، نذكر منها ما يلي :

١- تعريف ابن جني :

يعد تعريف اللغة عند ابن جني "المتوفى ٣٩١هـ" من التعريفات الدقيقة إلى حد بعيد، حيث عرف ابن جني اللغة بقوله: حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم [١] ، وهذا تعريف دقيق يذكر كثيرًا من الجوانب المميزة للغة، حيث كد ابن جني أولا الطبيعة الصوتية للغة، كما ذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر، وذكر أيضا أنها تستخدم في مجتمع فلكل قوم لغتهم.

٢- تعريف سابير "Sapir"؛ "١٩٢١:

عرف سابير اللغة بقوله : " اللغة طريقة إنسانية بحتة غير غريزية لتواصل الأفكار والانفعالات والرغبات بواسطة الرموز المنتجة إنتاجا إراديا "، ويعاني هذا التعريف من عيوب عديدة، فمهما شرحنا المصطلحات: فكرة وانفعالا، ورغبة إجمالا فمن الوضاح أن هناك كثيرا مما تنقله اللغة لا يدخل في إطار أي منها، كما أن مصطلح "فكرة" بصفة خاصة غير دقيق بشكل متأصل، ومن الناحية الأخرى توجد نظم كثيرة من الرموز المنتجة إراديا لا نعدها لغات إلا بالمعنى المجازي لكلمة لغة، فعلى سبيل المثال ما تشير إليه الآن بشكل شائع عبارة "لغة الجسد" -التي تستخدم الإيماءات، وحركات الجسم، وحركة العين ... إلخ- قد تبدو ملائمة لتعريف سابير، وما إذا كانت اللغة إنسانية بحتة غير غريزية يفتح -والحق يقال- مجالا للشك، غير أن القضية كما سنرى هي ما إذا كان من المناسب أن نصف اللغات بالإنسانية

(١) ابن جني : الخصائص ، ص ٣٣

البحتة وبانتفاء الغريزية منها، وهذه هي النقطة الرئيسية التي تؤخذ على تعريف سابير [1].

٣- تعريف بلوخ وتراجر "Trager, Bloch " :

ورد عن بلوخ وتراجر في كتابهما " Outline of Linguistic Analysis" التعريف التالي : اللغة نظام اجتماعي من الرموز المنطوقة الاعتباطية تتعاون به مجموعة اجتماعية، ويلفت النظر في هذا التعريف أنه على العكس من تعريف سابير لا يعطي أي اهتمام للوظيفة الاتصالية إلا على نحو غير مباشر وعلى سبيل التضمن، وبدلا من ذلك يضع التأكيد كله على الوظيفة الاجتماعية وهو إذ يفعل ذلك -كما سنرى بعد- يأخذ وجهة نظر أكثر ضيقا للدور الذي تلعبه اللغة في المجتمع، ويختلف تعريف بلوخ وتراجر عن تعريف سابير من حيث إنه قدم خاصة العرفية، وحصر بشكل واضح اللغة في اللغة المنطوقة الأمر الذي يجعل ثمة تناقضا في عبارة "اللغة المنطوقة" [2].

٤- تعريف هاله " Hall ":

ورد عن هاله في كتابه: "Essay on Language" التعريف الآتي: "اللغة نمط اجتماعي منظم يتواصل بها البشر ويتفاعل بها الواحد مع الآخر بواسطة الرموز الاعتباطية المسموعة - المنطوقة المعتاد استخدامها" وفيما بين النقاط التي نلاحظها هنا أولها على الإطلاق: حقيقة ورود كل من "التواصل"، و"التفاعل" في التعريف ولفظة التفاعل أكثر شمولا من التعاون الواردة في التعريف السابق، والثاني: إن مصطلح "مسموعة – منطوقة "

(١) جون ليونز: اللغة وعلم اللغة ، ص٤
(٢) المرجع السابق ، ص٦

يمكن أن يكافئ مصطلح "منطوقة " ولا يختلف عنه إلا في إشارته إلى السامع والمتكلم على حد سواء أي: إلى المرسل والمستقبل للرموز المنطوقة التي نتعرف عليها بوصفها أقوالا لغوية، ويتعامل هالة مع اللغة- مثل سابير- على أنها نظام إنساني بحت، ومصطلح نمط اجتماعي منظم يوضح صراحة وجهة النظر إلى تذهب إلى أن اللغة التي يستخدمها مجتمع بعينه جزء من ثقافته، ومرة أخرى اختصت خاصة الاعتباطية من ضمن مجموعة الخصائص بملاحظة موجزة.

وأكثر العناصر الواردة في تعريف هاله أهمية استخدامه مصطلح "معتاد استخدامها " وثمة أسباب تاريخية لهذا الأمر فلقد تأثر كل من علم اللغة، وسيكولوجية اللغة بنظريات السلوكيين في المثير والاستجابة تأثرا قويا حوالي ثلاثين عاما لا سيما في أمريكا، واكتسب مصطلح "عادة" في الإطار النظري للسلوكية دلالة خاصة إلى حد ما، وقد استخدم هذا المصطلح للإشارة إلى جوانب سلوكية يمكن تمييزها بالاستجابات التي تقابل مثيرات معينة كما يمكن التنبؤ بها إحصائيا، وكثير مما لا نعتقد فيه عادة أنه "عادة" يقع في إطار مصطلح السلوكيين، وكثير من الكتب الأساسية في علم اللغة تعكس هذا الاستخدام التخصصي إلى حد ما مع ما تختاره وتلزم نفسها -على الأقل- بشكل أو بآخر من أشكال نظرية المثير والاستجابة الخاصة بالسلوكيين فيما يتصل بالاستخدام اللغوي واكتساب اللغة، ومن المقبول الآن بشكل عام أن هذه النظرية إن لم تكن قابلة للتطبيق تماما فإمكانية تطبيقها محدودة للغاية في علم اللغة وسيكولوجية اللغة على حد سواء. ومن المفترض أن هاله يعنى باللغة "الرموز" الإشارات المنطوقة التي تنتقل بالفعل من المرسل إلى المستقبل في عملية الاتصال والتفاعل، وأصبح واضحا الآن أنه ليس هناك معنى لمصطلح "عادة " - بالمعنى التخصصي أو

غير التخصصي- تكون أقوال اللغة فيه عادات أو مؤسسة من خلال العادات؟ وإذا كانت كلمة رمز لم تستخدم للدلالة على أقوال اللغة فحسب ولكنها استخدمت كذلك للدلالة على الكلمات والعبارات التي تكونها فإنه سيظل من الخطأ أن تتضمن أن المتكلم يستخدمها كلون من العادات في مناسبات خاصة بها، ومن أكثر الحقائق أهمية عن اللغة أنه لا توجد -بصفة عامة- علاقة بين الكلمات والسياقات التي تستخدم فيها للدرجة التي يمكن أن نتنبأ بذكر كلمات معينة - مثلما يمكن أن يتنبأ به عن السلوك المعتاد- من السياقات نفسها، فعلى سبيل المثال لا ننطق عادة قولا يتضمن كلمة طائر كلما وجدنا أنفسنا في موقف نرى فيه طائرا مع أنه أكثر السياقات مدعاة لذكر هذه الكلمة(١).

٥- تعريف روبنز "Robins" :

لم يقدم لنا روبنز تعريفا للغة مطابقا للمواصفات فقد كان على حق حين رأى أن مثل هذه التعريفات تتجه نحو الابتذال وعدم الفائدة ما لم تفترض سلفا بعض النظريات العامة في اللغة وفي التحليل اللغوي لكنه صنع قائمة من الحقائق البارزة الواجب أخذها في الاعتبار لدى أية نظرية جادة وهادفة وناقشها، وقد ذكر في الطبعات المتتابعة لهذا الكتاب القيم أن اللغة نظام من الرموز: يتأسس معظمها على العرف البحت أو الاعتباطي غير أنه أكد تأكيد خاصا على مرونة تلك الرموز وقابليتها للتغير والتكيف، وربما لم تكن هناك مخالفة منطقية بين الرأي الذي يذهب إلى أن اللغات نظم للعادة "مع تفسير العادة بالمعنى الخاص" والرأي الذي أوضحه روبنز، ونظام العادة - رغم كل ما يمكن إدراكه- يتغير عبر الزمن بما يتفق مع الاستجابة لتغير احتياجات مستخدميه، لكن مصطلح "عادة " ليس مصطلحا من المصطلحات

(١) المرجع السابق ، ص٧

التي نربطها عادة بالسلوك القابل للتعديل والتكيف، وسنكون في حاجة إلى التركيز على فكرة الممدودية غير المحدودة فيما بعد، وسنرى حينئذ أنه يجب أن نفصل بين ممدودية نظام ما وقدرته على التحوير وممدودية مخرجات هذا النظام وقدرتها على التحوير، ومن الأهمية كذلك أن ندرك أنه يقدر ما يلقى النظام من عناية فإن بعض أنواع الممدودية والتحويرية - نظريا- أكثر أهمية من غيرها، فعلى سبيل المثال حقيقة أن الكلمات الجديدة تدخل مجموعة مفردات لغة من اللغات في أي وقت من الأوقات أقل كثيرا في الأهمية من الناحية النظرية- من حقيقة أن الأبنية النحوية الجديدة يمكن أن تنشأ-وتنشأ- بمعنى الوقت ، وأحد الموضوعات الرئيسية في علم اللغة ما إذا كانت هناك أية حدود لهذا النوع الأخير من إمكانية التحوير، وإذا كان الأمر كذلك فما هي تلك الحدود [1].

٦- تعريف تشومسكي "Chomsky " :

التعريف الأخير الذي نقتبسه هنا يثير ملاحظة مختلفة تماما: "من الآن سأعتبر اللغة مجموعة محدودة أو غير محدودة من الجمل، كل جملة محدودة من حيث الطول وتتركب من مجموعة محدودة من العناصر" وهذا التعريف مأخوذ من كتاب تشومسكي "Syntactic Structures" الذي أحدث نشره الحركة التي عرفت باسم النحو التحويلي، ويقصد هذا التعريف - بخلاف التعريفات السابقة- تغطية جوانب كثيرة من اللغات الطبيعية، غير أن اللغات الطبيعية كلها- تبعا لتشومسكي- في صورتها المكتوبة والمنطوق لغات حسب تعريفه ما دام لكل لغة طبيعية عدد محدود من الأصوات وعدد محدود من الحروف الأبجدية على افتراض أنها ذات نظام ألفبائي للكتابة، وطالما أمكن تمثيل الجمل فيها - والتي ربما كانت غير محدودة - بتتابعات محدودة

(١) المرجع السابق ، ص٨

من هذه الأصوات أو الحروف ، ومهمة اللغوي أن يصف لغة طبيعية ما حتى يمكن التمييز بين العناصر المتتابعة المحدودة التي يمكن اعتبارها جملة والتي لا يمكن اعتبارها كذلك، وهي أيضا مهمة اللغوي النظري الذي يفسر سؤال: "ما اللغة ؟ " كما لو أن معناه : "ما اللغة الطبيعية ؟ " ليكتشف الخصائص البنيوية التي تتميز بها اللغة الطبيعية عن تلك التي تقابلها وتسمى لغة غير طبيعية.

وتعريف تشومسكي اللغة المقتبس هنا يختلف كثيرا عن التعريفات الأخرى من حيث المحتوى والأسلوب، فهو لا يذكر شيئا عن الوظيفة الاتصالية الخاصة باللغات الطبيعية واللغات غير الطبيعية، ولم يذكر شيئا عن الطبيعية الرمزية لعناصرها أو لتتابعاتها، وغايته أن يركز الانتباه على الخصائص البنيوية البحتة للغات وعلى فكرة أن هذه الخصائص يمكن أن تبحث بطريقة واضحة وضوح الرياضيات، وإسهام تشومسكي الرئيسي في علم اللغة أنه أعطى تأكيدا خاصا على ما يطلق عليه تبعية البنية " dependence structure العمليات التي تتركب من خلالها الجمل في اللغات الطبيعية، وأنه صاغ نظرية عامة في النحو تأسست على تحديد خاص لهذه السمة [1].

(شاهد الفيديو)

ثانيا : تعريف علم اللغة

هو العلم الذي يبحث في اللغة، ويتخذها موضوعا له، فيدرسها من النواحي الوصفية، والتاريخية، والمقارنة، كما يدرس العلاقات الكائنة بين اللغات المختلفة، أو بين مجموعة من هذه اللغات، ويدرس وظائف اللغة وأساليبها المتعددة، وعلاقتها بالنظم الاجتماعية المختلفة [2].

---

(١) المرجع السابق ، ص١٠

(٢) د. رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص٧

وكذلك ذكر فرديناند دي سوسير في كتابه "محاضرات في علم اللغة العام " بأن "موضوع علم اللغة الوحيد والصحيح هو اللغة معتبرة في ذاتها ومن أجل ذاتها " ، أي أن موضوع "علم اللغة " هي " اللغة " ، أما معنى قول دي سوسير " في ذاتها " فهو أن يدرسها من حيث هي لغة، يدرسها كما هي، يدرسها كما تظهر، فليس للباحث فيها أن يغير من طبيعتها، كما أنه ليس للباحث في موضوع أي علم من العلوم أن يغير من طبيعته، فليس له أن يقتصر في بحث على جوانب من اللغة مستحسنا إياها، وينحي جوانب أخرى استهجانا لها أو استخفافا بها، أو لغرض في نفسه، أو لأي سبب آخر من الأسباب [١].

وكذلك موضوع علم اللغة، هو كل النشاط للإنسان في الماضي والحاضر، يستوي في هذا الإنساني البدائي والمتحضر، واللغات الحية والميتة، والقديمة والحديثة، دون اعتبار لصحة أو لحن، أو جودة أو رداءة، أو غير ذلك [٢].

وكذلك اللغة التي يبحث فيها هذا العلم، ليست هي اللغة العربية أو الإنجليزية أو الألمانية، وإنما هي اللغة في ذاتها، ومن أجل ذاتها، هي" اللغة " التي تظهر وتتحقق، في أشكال لغات أخرى كثيرة ولهجات متعددة، وصور مختلفة من صور" الكلام " الإنساني، فمع أن اللغة العربية، تختلف عن الإنجليزية، وهذه تختلف عن الألمانية، فإن هناك أصولا وخصائص جوهرية، تجمع ما بين هذه اللغات، كما تجمع بينها وبين سائر اللغات، وصور الكلام الإنساني، وهو أن كلا منها لغة، أو نظام اجتماعي معين، تتكلمه جماعة معينة، بعد أن تتلقاه عن المجتمع، وتحقق به وظائف معينة، ينتقل من جيل إلى جيل، فيمر بأطوار من التطور، متأثرا في ذلك بسائر النظم الاجتماعية، والسياسية، الاقتصادية، والدينية وغير ذلك.

---

(١) محمود السعران ،علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص٤٧

(٢) د. رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص٧

وهكذا نرى أن علم اللغة، يستقى مادته من النظر في اللغات على اختلافها، وهو يحاول أن يصل إلى فهم الحقائق والخصائص، التي تجمع اللغات الإنسانية كلها، في إطار واحد.

وتتحدد لذلك وظائف علم اللغة وأغراضه فيما يلي :

١- وصف ما وصل إلينا من اللغات البشرية، والتأريخ لها، وتقسيم اللغات إلى فصائل وعائلات، وإعادة صوغ اللغات الأم، لكل هذه الفصائل، على قدر الإمكان.

٢- البحث عن القوى المؤثرة في حياة اللغات في كل مكان، واكتشاف القوانين العامة، التي تفسر الظواهر اللغوية الخاصة بكل لغة.

٣- تحديد مجالات علم اللغة، والبحث عن تعريف مناسب لهذا العلم ، وكان لا بد لكي تكتمل مباحث هذا العلم، أن يسبق بدراسات تفصيلية لمعظم لغات البشر، وقد مهدت تلك الدراسات المستقلة لكل لغة على حدة، للبحث في تاريخ اللغات والمقارنة بينها، فكثر التفكير في نشأة اللغة، وفي تطورها، وفي العائلات اللغوية، وغير ذلك [١].

نعم إن تلك الدراسات السابقة للغات البشر، أو لأشهرها، يعاد النظر فيها الآن مرة أخرى. والذي يدعو إلى إعادة النظر فيها، هو نتائج " علم اللغة " نفسه؛ لأن بعض تلك الدراسات، قام على أسس غير سليمة، أو استعان بوسائل قاصرة، ولكن تلك الدراسات، مع ما فيها من قصور، كانت خطوة أساسية، لظهور" علم اللغة "، ووصوله إلى ما وصل إليه الآن.

ومن واجبات اللغوي أن يدرس اللغة كما هي، فليس له أن يغير من طبيعتها، شأنه في ذلك شأن الباحث في أي علم من العلوم، فليس له أن يقتصر في بحثه على جوانب من اللغة مستحسنا إياها، وينحي جوانب أخرى، استهجانا لها، أو استخفافا بها، أو لغرض في نفسه، أو لأي سبب آخر من الأسباب.

---

(١) د. رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص٨

ولا ترمي دراسة علم اللغة إلى أغراض عملية، فالباحث اللغوي يدرس اللغة لغرض الدراسة نفسها، فهو يدرسها دراسة موضوعية، تستهدف الكشف عن حقيقتها، فليس من موضوع دراسته، أن يحقق أغراضا تربوية مثلا، أو أية أغراض عملية أخرى، فهو لا يدرسها بغرض الارتقاء بها مثلا، أو تصحيح جوانب منها، أو القضاء على عوج فيها، فإن عمله يجب أن يقتصر على وصفها وتحليلها، بطريقة موضوعية [١].

٤- الوقوف على حقيقة الظواهر اللغوية، والعناصر التي تتألف منها، والأسس القائمة عليها.

٥- الوقوف على الوظائف التي تؤديها في مختلف مظاهرها، وفي شتَّى المجتمعات الإنسانية.

٦- الوقوف على العلاقات التي تربطها بعضها ببعض، والعلاقات التي تربطها بما عداها من الظواهر: كالظواهر الاجتماعية والنفسية والتاريخية والجغرافية والطبيعية... وهلم جرًّا [٢].

٧- الوقوف على أساليب تطورها واختلافها باختلاف الأمم والعصور.

٨- كشف القوانين التي تخضع لها في جميع نواحيها، والتي تسير عليها في مختلف مظاهرها ، القوانين التي تسير عليها في تكونها ونشأتها وأدائها لوظائفها، وعلاقاتها المتبادلة، وعلاقاتها بغيرها، وتطورها.. وما إلى ذلك.

وهذا الغرض الأخير هو الأساسي لبحوث علم اللغة، بل يكاد يكون غرضها الفذ، وذلك أن الأغراض السابقة ليست في الواقع إلّا وسائل للوصول إليه؛ فعلم اللغة لا يعرض لحقيقة الظواهر اللغوية والوظائف التي تؤديها، والعلاقات التي تربطها بعض ببعض، والتي تربطها بغيرها، والتطورات التي

---

(١) د. رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص٩

(٢) علي عبد الواحد وافي: علم اللغة ، ص١٦

تعتريها ... لا يعرض لهذا كله لمجرد الوصف وسرد الحقائق التاريخية، ولكن ليصل في ضوئه إلى كشف القوانين الخاضعة لها هذه الظواهر [1].

(شاهد الفيديو)

(١) المرجع السابق ، ص١٧

الفصل الأول : نشأة اللغة الإنسانية

نشأة اللغة الإنسانية:

لا شك أن الفضل في نشأة اللغة الإنسانية يرجع إلى المجتمع نفسه، وإلى الحياة الاجتماعية، فلولا اجتماع الأفراد بعضهم مع بعض، وحاجتهم إلى التعاون والتفاهم وتبادل الأفكار، والتعبير عما يجول بالخواطر من معانٍ ومدركات، ما وجدت لغة ولا تعبير إرادي.

ولا شك كذلك أن اللغة ظاهرة اجتماعية تنشأ كما ينشأ غيرها من الظواهر الاجتماعية، فتخلقها طبيعة الاجتماع، وتنبعث عن الحياة المجتمعية، وما تقتضيه هذه الحياة من شئون [١] .

وكذلك أن العلماء والمفكرين، لم يختلفوا في شيء من مسائل علم اللغة، كما اختلفوا حول موضوع نشأة اللغة، وقد تنوعت آراؤهم، واختلفت مذاهبهم، ومع ذلك لم يصلوا في بحثهم إلى نتائج يقينية، بل كان جل آرائهم يصطبغ بالصبغة الشخصية، ولم يتجاوز مرحلة الفرض المبني على الظن والحدس، وفي ذلك يقول "ماريو باي": " فيما يختص بنشأة اللغة وطبيعتها، لدينا مصادر تعتمد على الأساطير والحديث المنقول، والمناقشات الفلسفية، ولكن تنقصنا الحقائق العلمية في هذا الصدد" [٢].

ولا يذهبن بك الظن إلى أن العلماء العرب من لغويين وفلاسفة وأصوليين هم السابقون الأولون إلى الخوض في هذا البحث، فإن ما عناهم من نشأة اللغة عن غيرهم من أصحاب العقول في الأمم الأخرى ، وفي العصور الضارية في عمق التاريخ ، فمنذ هرقليطس وديمقريطس ومن قبلهما وجد البحث في أصل اللغة ونشأ الخلاف وتجذر .

---

(١) علي عبد الواحد وافي : علم اللغة ،٩٦

(٢) د. رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص١٠٩

وبعد محاولات الإغريق التي لم تتمخض عن نتائج تقبلها الشعوب الأخرى أدلى أحبار التوراة بدلوهم ليفسروا نشأة اللغة على ضوء معتقداتهم، ووفق النصوص التي وجدوها في كتابهم المقدس، فلم يأتوا بما يقمع الجدال ، فاستمر وتشعب، وظهرت نظريات كثيرة حاولت حل الإشكال ، وانتهى بعضها إلى ما يشبه المحال [١].

ومع ذلك نجد بعضهم، يحاول أن يعرض نظرياته في هذا الموضوع، ملبسا إياها ثوبا علميا، ومحاولا الدفاع عنها في صلابة وإصرار، غير أن بعض المعتدلين من علماء اللغة، سخروا حتى من مجرد التفكير في إدراج هذا الموضوع، ضمن بحوث علم اللغة.

وقد قررت الجمعية اللغوية في باريس، عدم مناقشة هذا الموضوع نهائيا، أو قبول أي بحث فيه لعرضه في جلساتها، كما أن كثيرا من العلماء، ذوي الشهرة الذائعة، والقدم الثابتة في علم اللغة، أمثال: " بلومفيلد" و" فيرث " لم يتعرضوا لدراسة هذا الموضوع بشكل علمي، أو بصورة تنبئ عن أهمية البحث فيه، وقد تناوله " فيرث " باختصار جدا، على سبيل أن الكلام فيه، نوع من الفلسفة اللغوية، التي قد يكون من المفيد إلمام طالب علم اللغة بها [٢].

الآراء والنظريات

تعددت آراء العلماء ونظرياتهم في البحث عن أصل اللغة ، وتباينت دوافعهم وأساليبهم وفق تكوينهم الثقافي : فمنهم من استنزل اللغة من السماء ، ومنهم من استنبتها من الأرض أو تصيدها من أصوات الطبيعة، ومنهم من ربطها بالاجتماع المفضي إلى التواضع والوضع ، أو بالانفعال العظيم المؤدي إلى التنفيس عن الحس الحبيس ، ومنهم من استعان على مناقشة الفكرة بما وجد

(١) غازي طليمات : في علم اللغة ، ص٤٥
(٢) د. رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص١٠٩

في العلوم الأخرى ، فانتهى إلى نظرية ادعى أنها أوفر النظريات حظا من الصدق والعمق ، وأقربها إلى الدقة والحق، وفي التعدد مجال للموازنة والترجيح.

١- نظرية التوقيف أو الأصل الإلهي [١]

إذا شئت أن ترد هذه النظرية إلى مصدرها العربي الأول فردها إلى تفسير مجاهد لقوله تعالى : {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ} [٢] ، قال مجاهد : علمه اسم كل شيء ، وعن مجاهد نقل الطبري فقال : إنها أسماء ذريته ، وأسماء الملائكة ، وكذلك قول ابن عباس يقول: "علمه الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعارفها الناس، من دابة وأرض وسهل وجبل وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها ".

ثم جاء المفسرون وعلماء اللغة ، فكان أحمد بن فارس اللغوي أشد الناس تعلقا بهذه النظرية ، قال : " أقول : إن لغة العرب توقيف " [٣] ، واحتج بالآية السابقة ، ولم يكتف بعزو الأصول إلى السماء ، بل ذهب إلى أن اللغة العربية كلها أصولا وفروعا إلهية المنشأ ، وأنها وصلت إلينا عن طريق الأنبياء على نحو متتابع حتى اكتملت بظهور الإسلام ، فقال : " ثم علم بعد آدم عليه السلام من عرب الأنبياء صلوات الله عليهم نبيا نبيا ما شاء أن يعلمه حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمد عن ، وهكذا اكتملت لغة العرب «ثم قر الأمر قراره ، فلا نعلم لغة من بعده حدثت، أما ابن جني، فقد تصدى لشرحه والرد عليه، فقال: " وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله : أقدر آدم على أن واضع عليها "[٤].

---

(١)غازي طليمات : في علم اللغة ، ص٤٦
(٢) سورة البقرة :الآية٣١
(٣) أحمد بن فارس : الصاحبي في فقه اللغة ،ص٧
(٤) ابن جني : الخصائص ، ص٤٠-٤١

وإذا شئت أن توغل في تاريخ النظرية إلى عهد أقدم من عهد العرب بها فعد بها إلى فلاسفة اليونان وأحبار اليهود تجد أن عزو اللغة اليونانية واللغة العبرية إلى مصدر إلهي رأي رآه أكثر من عالم ، وتباهت بالأخذ به أكثر من لغة ، وأن آراء العرب لم تكن أكثر من حلقة في سلسلة هي تاريخ هذه النظرية .

وأعجب ما يثير العجب أن يتبنى اليونان هذه النظرية ، وهم وثنيون ، لا يؤمنون بدين سماوي أو بإله يعلم أنبياءه اللغة،ولعل اعتقادهم هذا مردود إلى إيمان فريق منهم بالمثالية التي آثرها أفلاطون على الواقعية الأرسطية ، لقد اتهم أفلاطون البشر بالعجز عن صنع اللغة ، تلك المعجزة التي لم يستطع أن يجد لها تحليلا وتعليلا يقنعان العقل اليوناني ، ولهذا رأى أن اللغة توقيفية ، لا يستطيع الإنسان إبداعها ، ولا تقوى إمكانياته على صنعها ، ولم يكن أحبار يهود أضعف إيمانا بهذا المذهب ، فقد استنبطوا من التوراة أن اللغة صنع آدم وأن الله جبل الحيوانات والطيور من تراب الأرض، ووضعها بين يدي آدم، وأن آدم سماها بأسمائها ، حيث جاء في سفر التكوين : " فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها ، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها، فسمي آدم جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية " [١].

وإذا كان بين مذهبي اليهود والمسلمين من فرق فهو فرق يسير لا يمس جوهر النظرية ، إذ يعزو الفريقان اللغة إلى غير البشر ، غير أن سفر التكوين يعزو وضعها إلى آدم بأمر من ربه ، لأنه هو الذي سمي المخلوقات بأسمائها ، والقرآن الكريم يرقي بها إلى الله عز وجل مصدر كل علم ، ويحصر عمل آدم وعلمه في تعليم ما تعلم ونقله من الله إلى الناس [٢].

---

(١) سفر التكوين الإصحاح الثاني ٧ - ٢٠
(٢)غازي طليمات : في علم اللغة ، ص٤٧

٢- نظرية المواضعة و الاصطلاح

مذهب المواضعة والاصطلاح ، وهذا المذهب ذكره ابن جني، فقال: " إن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة، وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا، فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء، فيضعوا لكل منها سمة، ولفظا يدل عليه، ويغني عن إحضاره أمام البصر، وطريقة ذلك أن يقبلوا مثلا على شخص، ويومئوا إليه قائلين: إنسان! فتصبح هذه الكلمة اسما له، وإن أرادوا سمة عينه أو يده أو رأسه أو قدمه، أشاروا إلى العضو وقالوا: يد، عين، رأس، قدم ... إلخ [١].

ويسيرون على هذه الوتيرة، في أسماء بقية الأشياء، وفي الأفعال والحروف، وفي المعاني الكلية، والأمور المعنوية نفسها، وبذلك تنشأ اللغة العربية مثل، ثم يخطر بعد ذلك لجماعة منهم كلمة : "مرد" بدل إنسان، وكلمة : "سر" بدل رأس، وهكذا فتنشأ اللغة الفارسية .

وليس لهذا المذهب، أي سند عقلي أو نقلي أو تاريخي، بل إن ما يقرره ليتعارض مع النواميس العامة، التي تسير عليها النظم الاجتماعية، فعهدنا بهذه النظم أنها لا ترتجل ارتجالا، ولا تخلق خلقا، بل تتكون بالتدريج من تلقاء نفسها، هذا إلى أن التواضع على التسمية، يتوقف في كثير من مظاهره، على لغة صوتية يتفاهم بها المتواضعون، فكيف نشأت هذه اللغة الصوتية إذن؟ وهكذا نرى أن ما يجعله أصحاب هذه النظرية منشأ للغة، يتوقف هو نفسه على وجودها من قبل [٢].

(١) د. رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص١١١
(٢) المرجع السابق ، ص١١١

٣- نظرية محاكاة أصوات الطبيعة [١]

يذهب أصحاب هذه النظرية إلى أن الإنسان في نشأته الأولى ، وقبل أن يعرف اللغة حاكى أصوات الطبيعة الحية والجامدة ، أصغي إلى أصوات الذئب والبعير والقط والرعد والبركان والريح، وقلب هذه الأصوات في أذنه ، ورددها بلسانه ، وصنع منها ألفاظ تشبه في جرسها الأصوات الطبيعية وتدل عليها، ثم خطا في هذا الاتجاه خطوة أخرى، فحمل الألفاظ المحسوسة معاني مجردة ، فكانت اللغة .

ولما كان المصدر الذي استقت منه هذه النظرية مادتها الأولى هو الطبيعة التي يتساوى في ملاحظتها العرب والأجانب فقد تساوى العرب والأجانب في اكتشاف هذه الحقيقة ، وبنوا عليها نظريات لا ترقى إلى درجة العلم .

ويعد أبو الفتح عثمان بن جني [ت: ٣٩٢هـ] أبرز اللغويين العرب الذاهبين أو المؤيدين للذاهبين إلى أن لغات البشر بنات الأصوات الطبيعية ، حيث قال ابن جني : " وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوى الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء ، وشحيج الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونزيب الظبي ، ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد ، وهذا عندي وجه صالح، ومذهب متقبل" [٢] .

وأول من دافع عن هذه النظرية ، من علماء الغرب بالتفصيل العالم الألماني "هردر" Harder في كتابه "بحوث في نشأة اللغة " Abhandlungen uber den Ursprung der Sprache الذي نشره سنة ١٧٧٢م.

---

(١)غازي طليمات : في علم اللغة ، ص٤٧
(٢) ابن جني : الخصائص ، ص٤٦-٤٧

ومما قد يؤيد هذه النظرية، ما نجده في بعض الأحيان من اشتراك في بعض الأصوات في الكلمات التي تحاكي الطبيعة في عدة لغات [1].

غير أن اشتراك اللغات في الكلمات المحاكية للطبيعة، أمر نادر، ولو كانت هذه النظرية صحيحة، للاحظنا اشتراكا بين اللغات في الكلمات التي تحاكي الطبيعة؛ مثل: الشق، والدق، والقطع، والصهيل، والعواء، والمواء، وما إلى ذلك.

ويرى بعض العلماء بناء على هذه النظرية، أن مناسبة اللفظ للمعنى مناسبة حتمية، بمعنى أن اللفظ يدل على معناه دلالة وجوب، لا انفكاك فيها، وممن نادي بهذا الرأي: "عباد بن سليمان الصيمري" من المعتزلة؛ فقد ذهب إلى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية، حاملة للواضع على أن يضع هذه اللفظة أو تلك، بإزاء هذا المعنى أو ذاك، ويروون عن بعض من تابعه على رأيه هذا، أنه كان يقول: إنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها، فسئل عن معنى كلمة: " إذغاغ " وهي بالفارسية: الحجر - كما يقولون- فقال: أجد فيه يبسا شديدا [2]، وأراه الحجر!

صحيح أنك تجد الرقة في لفظتي وسوس وشمس، وتجد القسوة في دق وطرق ، ولكنك لا تستطيع أن تربط هذه الألفاظ بأصوات محددة ، ولا تجد كل خشونة في الفعل مقرونة بخشونة في القول ، بل تجد اللفظ الرقيق كالسيف والرمس دالا على أقسى المعاني ، وتجد اللفظ القاسي كالبرقع والقطر والقلب دالا على أرق المعاني ، وهذا يعني أن الأمثلة القليلة التي تتعاقب فيها المعاني والألفاظ في العربية أو في الإنكليزية لا ترقى بهذا الرأي الفقير من أفق

(١) د. رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص١١٢
(٢) المرجع السابق ، ص١١٣

التخمين والرجم بالغيب إلى أفق اليقين والوصول إلى مرتبة العلم ، والقوانين تبني على الكثير المطرد لا على القليل والنادر [1].

ولا يخدعنك غلو الغلاة في الانتصار لهذا الرأي ، ولا زعم من زعم أن التناسب بين اللفظ والمعنى أمر حتمي لارتباطه بالأصوات المفردة ، وارتباط الأصوات الإنسانية بأصوات الطبيعة ، فالأمثلة القليلة التي ذكرها عباد بن سليمان الصيمري لا تقف حجة كافية أمام آلاف الأمثلة التي لم يذكرها ، والتي تأتي بناء هذه النظرية من القواعد .

وإننا نشك كثيرا في صحة هذه الرواية، وصدق نظرية الصيمري، فإنه لو صح ما قاله، لاهتدى كل إنسان إلى كل لغة على وجه الأرض، ويمتاز مذهب المحاكاة، بأنه يشرح لنا مبلغ تأثر الإنسان، في النطق بالألفاظ، بالبيئة التي تحيط به، غير أن أهم ما يؤخذ عليه، أنه يحصر أساس نشأة اللغة، في الملاحظة المبنية على الإحساس بما يحدث في البيئة، ويتجاهل الحاجة الطبيعية الماسة غلى التخاطب والتفاهم، والتعبير عما في النفس، تلك الحاجة التي هي من أهم الدوافع إلى نشأة اللغة الإنسانية، فإن الرغبة الذاتية في التعبير، والحاجة الماسة إلى التفاهم، كلاهما من أهم الدوافع، التي يجب أن يعتد بها في نشأة اللغة واضطرار الإنسان الأول للنطق بالألفاظ. هذا إلى أن هذا المذهب، لا يبين لنا كيف نشأت الكلمات الكثيرة، التي نجدها في اللغات المختلفة، ولا نرى فيها محاكاة لأصوات المسميات، ويتضح ذلك

(١) غازي طليمات : في علم اللغة ، ص٤٨

بوجه خاص في أسماء المعاني، كالعدل، والمروءة، والكرم، والشجاعة، وغير ذلك [١].

وليس نقضها قاصرة على العرب وحدهم، ولا الحجج التي دمغت بها النظرية مستمدة من لغة العرب وحدها، بل إنك لتجد أشد المتعصبين لها في أول حياته وهو (هردر) أشد المتنصلين منها في آخر حياته، وشبيه به في السخرية منها الألماني ماكس مولر ، وأقصى ما استطاعت هذه النظرية أن تفعله هو أنها استخرجت من كل لغة مجموعة من الكلمات أوحت مبانيها بمعانيها بعض الإيحاء، وأنها استطاعت أن تظفر بمجموعة أقل من الأولى ، تتقارب فيها المباني والمعاني برغم انتمائها إلى لغات مختلفة ، ومع ذلك فإن لأصحاب هذه النظرية، الفضل في أنها فتحت للباحثين، باب البحث الفلسفي في نشأة اللغة، كما أنها لا تبعد كثيرا في إرجاعها نشأة اللغة، في بعض الأحيان، إلى ملاحظة خاصة [٢].

٤- نظرية التنفيس

نظرية التنفيس عن النفس، وتتلخص في أن مرحلة الألفاظ، قد سبقتها مرحلة الأصوات الساذجة التلقائية الانبعاثية، التي صدرت عن الإنسان، للتعبير عن ألمه أو سروره أو رضاه أو نفوره، وما إلى ذلك من الأحاسيس المختلفة، فهذه الأصوات الساذجة، قد تطورت على مر الزمن، حتى صارت ألفاظا. ويشرح "فندريس" تصور أصحاب هذه النظرية، لكيفية نشأة اللغة، فيقول: "عند هذا السلف البعيد، الذي لم يكن مخه صالحا للتفكير، بدأت اللغة بصفة

(١) د. رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص١١٤
(٢) غازي طليمات : في علم اللغة ، ص٤٨

انفعالية محضة. ولعلها كانت في الأصل مجرد غناء، ينظم بوزنه حركة المشي، أو العمل اليدوي، أو صيحة كصيحة الحيوان، تعبر عن الألم [1]، أو الفرح وتكشف عن خوف أو رغبة في الغذاء. بعد ذلك لعل الصيحة اعتبرت، بعد أن زودت بقيمة رمزية، كأنها إشارة قابلة لأن يكررها آخرون. ولعل الإنسان وقد وجد في متناول يده هذا المسلك المريح، قد استعمله للاتصال ببني جنسه، أو لإثارتهم إلى عمل ما أو لمنعهم منه ... هذا الفرض تبدو عليه مخايل الصدق، وإن لم يكن مما يمكن البرهان عليه "[2].

وتمتاز هذه النظرية عن سابقتها بأنها تعزو نشأة اللغة الإنسانية إلى أمر ذاتي، أي أنها تعتد بالشعور الوجداني الإنساني، وبالحاجة إلى التعبير عما يجيش بصدر الإنسان، من انفعالات وأحاسيس، أما النظرية السابقة، فترجع نشأة اللغة الإنسانية إلى ملاحظة خارجية موضوعية، أي ملاحظة مظاهر الطبيعة ومحاكاتها في ابتكار الأسماء الدالة عليها، ولذلك كانت هذه النظرية، خطوة أخرى في اتجاه آخر، نحو البحث عن حل للمشكلة، فإنها تشرح لنا منشأ بعض الكلمات، التي تعجز النظرية السابقة، عن شرح منشئها. ومع كل هذا فإنها نظرية ناقصة وغامضة، أما نقصها فلأنها لا تبين منشأ الكلمات الكثيرة، التي لا يمكن ردها إلى أصوات انفعالية، وأما غموضها، فلأنها لا تشرح لنا السر في أن تلك الأصوات الساذجة الانفعالية، تحولت إلى ألفاظ أو أصوات مقطعية، فلهذين الأمرين انصرف عنها اللغويون، وسخر منها "ماكس مولر" كذلك.

---

(١) المرجع السابق ،ص١١٥

(٢) فندريس : اللغة ، ٣٨-٣٩

٥- نظرية الاستعداد الفطري

نظريـة الاسـتعداد الفطـري، وهـي النظريـة التـي أذاعهـا اللغـوي الألمـاني: "ماكس مولر"، ودعاها نظرية: " دنج دونج " Ding Dong، وخلاصتها أن الإنسـان مـزود بفطرتـه، بالقـدرة علـى صـوغ الألفـاظ الكاملـة، كمـا أنـه مطبوع على الرغبة في التعبير عن أغراضه، بأية وسيلة من الوسائل، غير أن هذه القدرة على النطق بالألفاظ ، لا تظهر آثارها إلا عند الحاجة، أو في الوقت المناسب [١].

وحينما سمى "ماكس مولر" نظريته هذه، بنظرية " دنج دونج " إنما كان يريد أن يشبه هذه القوة الفطرية، بلولب الساعة الملتف في باطنها، ويشبه حوادث الزمن ببندول الساعة، الذي يتحرك، فيخرج بتحركه القوة الكامنة في الساعة، التي ينطوي عليها اللولب، فالزمن ومقتضيات الأحوال، هي التي تخرج هذه المقدرة من حيز القوة إلى حيز الفعل، وكأن النفس البشرية مخزن ممتلئ بالألفاظ، ينفتح شيئا فشيئا بمفتاح الزمن ومقتضيات الحياة الواقعية. ولعل الذي دعا "ماكس مولر" إلى وضع هذه النظرية، ملاحظة الأطفال، في حياتهم اليومية الحرة، التي تدل على أنهم تواقون إلى وضع أسماء للأشياء، التي يرونها ولا يعرفون لها أسماء، وأنهم يبتكرون أسماء لم يسمعوها من قبل، إرضاء لرغبتهم الفطرية في التكلم والتعبير عن أغراضهم، فاستنبط من ملاحظته هذه أن الإنسان مزود بتلك القوة، التي تنشأ عنها الألفاظ. وهذه النظرية لا تحل المشكلة، فإن لنا أن نسأل صاحبها: كيف ومتى زود الإنسان بهذه الذخيرة اللغوية؟ وكيف انطوت نفسه على تلك الألفاظ الكاملة؟ وإذا كان قد زود بفطرته بهذه الألفاظ، فلم اختلفت اللغات وتعددت اللهجات؟ فإننا نكاد نجزم بأن آثار القوى الفطرية لا بد أن تكون متحدة إلى حد ما، ثم

(١) د. رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص١١٦

كيف تسنى للإنسان أن يخرج تلك الألفاظ من مكانها، ويطلقها على المسميات المختلفة؟[١]

فهذه النظرية، تنقل الباحث من مشكلة إلى مشكلات أعمق منها، وأشد غموضا ولبسا، وربما كان من أبرز عيوبها أنها تفترض ظهور الكلمة أو الكلمات الأولى لدى الإنسان، كاملة غير خاضعة لسنة التطور.

٦- نظرية الملاحظة

نظرية الملاحظة، صاحبها هو العالم الألماني: "جيجر" Geiger، فقد برهن هذا العالم على أن أقدم ما أمكنه الوصول إليه، من الأصوات اللغوية الأولى، يعبر عن أعمال أو إشارات إنسانية،ومن هذه الحقيقة، استنبط أن تلك الأعمال والإشارات، كانت لا محالة، هي التي لفتت نظر الإنسان الأول، وأثارت اهتمامه، وأنها كانت أول ما عرف الإنسان عن أخيه الإنسان الأول، وأثارت اهتمامه، وأنها كانت أول ما عرف الإنسان عن أخيه الإنسان، ولذا تمكنت من نفسه وحلت منها مكانا حصينا، فإن مشاهدة الإنسان لغيره، وهو متلبس بعمل من الأعمال الهامة، أو متأثر بحال انفعالية قاسية، أثارت أقصى اهتمامه، وجعلته يتأثر به تأثرا آليا، بطريق المحاكاة العكسية، فتظهر على وجهه علامات التأثر نفسها، البادية على وجه زميله. وقد حمله هذا الانتباه إلى العمل، وملاحظته أخاه وهو يعمل، على أن تصدر منه، إشارة تلقائية، أو صوت ساذج معبر عن هذه الملاحظة. وعلى مر الأيام، وبتكرار التجارب المتشابهة، تطورت الأصوات إلى كلمات، واستغني عن الإشارات كلها، أو بعضها على الأقل [٢].

(١) المرجع السابق ،ص١١٦
(٢) د. رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص١١٨

ومما سوغ هذه النظرية في رأي واضعها أنه وجد في اللغات الأوروبية ألفاظا منحدرة من أصول قديمة موغلة في القدم ، بعضها إغريقي ، وبعضها سنسكريتي ، تفصح عما ذهب إليه ، إذ ارتبطت دلالاتها بالعمل الملائم لها، أو بالشيء الذي يقع عليه العمل، أو بالآلة المستخدمة في إنجاز هذا العمل . وهذا الاقتران يعني ببساطة أن اللغة وليدة العمل أو المحاكاة للأصوات المرافقة للعمل [1].

فقد أقبل "جيجر" على كثير من الكلمات المستعملة في اللغات الأوربية، وأرجعها إلى أصول "إغريقية، سنسكريتية "، تدل على عمل من أعمال الإنسان، مثال ذلك: الأصل الإغريقي، الذي معناه: " الكشط " أو " السلخ "، اشتقت منه كلمات معانيها: الجلد والخشب والشجر، وهنا نرى العلاقة واضحة بين هذه الفروع وأصلها، فإن الجلد هو ما يسلخ، والخشب شجر كشط لحاؤه، والشجر ما يكشط ليؤخذ منه الخشب. وبالطريقة عينها انحدرت الكلمة الإنجليزية : Night بمعنى: " ليل" من أصل سنسكريتي هو: ang أو ungo بمعنى: " الصبغ باللون الأسود"، ومما قد يؤيد هذا المذهب، أن جميع أسماء الآلات تقريبا، مشتقة من كلمات تدل على أعمال إنسانية.

وإذا كنا - نحن العرب - لا تحسن لغات الإغريق والهنود ونعجز عن أن نتخير أمثلة مناسبة توضح هذه النظرية ، فإن في العربية ما يفي بالحاجة. وحسبك أن تستعرض أسماء الآلات العربية لتقف على ما يشبه هذه الظاهرة ظاهرة الاقتران بين العمل واللفظ ، فإن كثيرا من الآلات في فصحانا جمع اشتقاقه بين لفظ الفعل وعمل الآلة، فالمطرقة للطرق ، والمقرعة للقرع،

(١)غازي طليمات : في علم اللغة ، ص٥١

والمنشار ينشر الخشب والمشرط يشرط الجلد ، والمنظار يعينك على النظر ، فلو لم يكن العمل مصدر اللغة ما احتفظت العربية بهذه الظاهرة [١] .

ومع أن وضع هذه النظرية، يعد خطوة أخرى في سبيل حل المشكلة، فإنها لم تستطع أن توضح لنا، بأسلوب مفهوم معقول، كيف وضعت تلك الأصول العامة الأولى، التي يقول صاحب النظرية، إنها تتعلق بأعمال الإنسان أو إشاراته، والتي يعدها الكلمات الأولى، التي اشتقت منها غيرها من الكلمات. على أنه من المتعذر، إرجاع جميع الكلمات التي تتكون منها اللغات كلها، إلى تلك الأصول العامة.

وكذلك نستطيع أن نأخذ على هذه النظرية مآخذ، منها أنها لا تقدم قاعدة مطردة يمكن تطبيقها على الكلام كله ، بل تقدم قانون محدودة تصدقه أسماء الآلات ، وتشد عليه طوائف كثيرة من الألفاظ ذوات الدلالات الحسية، وأكثر الألفاظ ذوات الدلالات المجردة ، ومنها أنها لا تستطيع أن توضح لنا بأسلوب مفهوم معقول كيف وضعت تلك الأصول العامة الأولى التي يقول صاحب النظرية : إنها تتعلق بأعمال الإنسان أو إشاراته ، والتي يعدها الكلمات الأولى التي اشتق منها غيرها من الكلمات ، وأخر المأخذ أن النظرية شكل مطور محور لنظرية محاكاة الأصوات الطبيعية ، الأولى ردت الكلمات إلى محاكاة الأصوات، وهذه قرنت الأصوات بالحركات ، وكلتاهما لم تجاوز مرحلة الافتراض المتوهم المفتقر إلى الأدلة القاطعة [٢].

(١)غازي طليمات : في علم اللغة ، ص٥٢
(٢) المرجع السابق ،ص٥٢

٧- نظرية التطور اللغوي

نظرية التطور اللغوي. وقد تأثر واضعو هذه النظرية، بنظرية التطور العام ، التي أذاعها " دارون Darwin " وحاول أن يبرهن على أثرها في جميع النواحي بعامة، وفي حياة الفرد والنوع الإنساني بخاصة،وقد أدت دراسة النمو اللغوي عند الطفل، إلى ادعاء أصحاب هذه النظرية، بأن هذا النمو يشبه تطور لغة النوع الإنساني، وهم يزعمون أن لغة الإنسان الأول، سلكت مراحل فطرية متعددة، متمشية مع مراحل نموه العقلي، وهذه المراحل هي [١]:

١- مرحلة الأصوات الساذجة الانبعاثية، التي صدرت عن الإنسان في العصور الأولى، حين كانت أعضاء النطق لديه غير ناضجة، وميوله ورغباته غير محددة، وإننا نلاحظ نظير هذه المرحلة في الطفل، حين تصدر عنه في أول عهده بالنطق بعض أصوات مبهمة، لا يفهم منها في كثير من الأحيان، رغبة ولا غرض معين.
٢- مرحلة الأصوات المكيفة المنبئة عن الأغراض والرغبات، المصحوبة بالإشارات المتنوعة، التي تساعد الأصوات، مساعدة فطرية، في الإبانة عن الأغراض،وقد ساعد على هذا التطور في الأصوات وتكيفها، نمو أعضاء النطق من جهة، ونمو الإحساس والشعور الذاتي لدى الإنسان من جهة أخرى، والأصوات المكيفة هي المتنوعة، لاختلافها في الشدة والرخاوة، والجهر والهمس، وغير ذلك ،وتناظر هذه المرحلة في نمو الطفل اللغوي، تلك المرحلة التي يصل إليها في أواخر السنة الأولى من حياته، وذلك حين تصدر عنه أصوات مكيفة، مصحوبة بإشارات منبئة عن أغراضه. وفي هذه المرحلة من مراحل النمو اللغوي عند الإنسان لم

(١) المرجع السابق ،ص١١٩

يكن هناك فرق، بين أصوات الإنسان وأصوات الحيوان، الدالة على شعوره بالخوف أو الحنين، أو النفور أو الرضا، أو القلق والاضطراب، وعلى شعوره بالحاجة إلى المعونة، فهو بهذه الأصوات يعبر عن شعوره، ويستغيث بغيره من بني جنسه.

٣- مرحلة المقاطع، وفيها انتقلت لغة الإنسان من أصوات غير محددة المعالم، إلى أصوات محددة، في صورة مقاطع قصيرة، مستنبطة من أصوات الأشياء أو الظواهر الطبيعية، أو على الأقل متأثرة بها إلى حد بعيد ، ويبدأ الطفل مرحلة تناظر هذه المرحلة، في الشهور الأولى من السنة الثانية، وذلك حين ينطق بمقاطع متكررة، يطلب بها ما يريد، أو يدل بها على أشياء معينة، متأثرا في ذلك بما يسمعه مما حوله من الحيوانات، أو ممن يرى في محيطه من الناس. ولا يزال يكرر هذه المقاطع، حتى تنطبع في نفسه، وتتكون منها لغته البدائية. وكثير من الأطفال يطلقون في هذه السن، كلمة: "هَوْ هَوْ" على الكلب، وكذلك " نَوْ نَوْ" على القط، ،"تِكْ تِكْ" على الساعة، وغير ذلك [١].

٤- مرحلة الكلمات المكونة من المقاطع، وفي هذه المرحلة تتكون من المقاطع التي سبق الحديث عنها، الكلمات أو الأصول العامة، التي استعملها الإنسان الأول لقضاء حاجاته، والتعبير عن أغراضه ورغباته. ومن هذه الأصول الأولى اشتق الإنسان كثيرا من الفروع، وبالتأليف بين هذه الفروع وتلك الأصول، اكتمل تكوين اللغة الفطرية، وقد وصل الإنسان إلى هذه المرحلة، حين اكتمل عقله، ونضجت أعضاؤه الصوتية، واتسع نطاق حياته الاجتماعية، وكثرت رغباته، واشتدت حاجته إلى التفاهم مع غيره ، ويوازي هذه المرحلة عند الطفل، تلك المرحلة التي يستطيع فيها التكلم، كما يتكلم غيره ممن يحيطون به،

(١) المرجع السابق ،ص١٢٠

ويتألف معجمه اللغوي من الكلمات الشائعة في بيئته، واللازمة للتعبير عن أغراضه.

٥- مرحلة الوضع والاصطلاح،وهذه آخر مرحلة من مراحل النمو اللغوي، وهي وإن لم تكن مرحلة فطرية، فإنها تقوم على أساس فطري، ذلك هو حاجة الإنسان الملحة، إلى الاحتكاك ببيئته، والقبض على ناصيتها، ومسايرة اللغة التي يستخدمها لتفكيره وعقله، ومشاهداته التي يتسع نطاقها على مر الأيام، وكثرة التجارب، وتشعب دروب الحياة. وفي هذه المرحلة، وضعت المصطلحات العلمية، وابتكرت الأسماء الدالة على المسميات المستحدثة. ولا تزال اللغة تنمو باطراد، ولا يزال عدد مفرداتها يزداد، كلما أوغل الإنسان في التحضر، وازداد نموه الفكري ازديادا، لا يظهر أنه سيقف عند حد، ويوازي هذه المرحلة، مرحلة النمو اللغوي، عند الطفل، عندما يذهب إلى المدرسة، ويدرس العلوم والفنون، ويتعلم بعض المصطلحات العلمية والفنية المختلفة [1].

هذا هو مذهب التطور اللغوي، في نشأة اللغة الإنسانية. ويمتاز بعدة أمور: الأول: أنه يخضع نشأة اللغة وتطورها، إلى سنة التطور العام، شأنها في ذلك شأن كل كائن حي، ينشأ صغيرا ساذجا، ثم ينمو شيئا فشيئا، بحكم طبيعته، والبيئة التي ينشأ فيها، وما اللغة إلا ظاهرة اجتماعية، تخضع لما تخضع له الظواهر الاجتماعية من عوامل التطور.

الثاني: أنه يشرح لنا السر في نمو اللغة، من حيث متنها وأساليبها. ويعزو ذلك إلى سلوك الإنسان مسلك التقدم والرقي، في جميع مقومات حياته الخاصة، وظروفه الاجتماعية، وإلى حاجته الماسة إلى تنمية لغته، لتساير

(١) المرجع السابق ،ص١٢١

حياته، ولتسعفه حين يريد التعبير عن أفكاره أو رغباته المتزايدة على الدوام.
الثالث: أنه لا يمنع أن يكون هناك أكثر من عامل واحد في نشأة اللغة وتطورها، فمن الجائز، بل يكاد يكون من المحقق -في نظر أصحاب هذا المذهب- أن يكون الإنسان، قد تأثر في إصدار الأصوات الساذجة أو المكيفة، بما سمع من أصوات الحيوان، أو الظواهر الطبيعية، وأن بعض تلك الأصوات، كان تعبيرا تلقائيا عن آلامه ورغباته وانفعالاته وعواطفه. هذا إلى أن هذا المذهب، لا ينكر أثر الاشتقاق والوضع، في تنمية متن اللغة، وتوسيع نطاقها.

تلك هي أشهر المذاهب، التي ابتكرت لتفسير نشأة اللغة الإنسانية. وهناك بعض المذاهب الأخرى، التي ضربنا صفحا عن ذكرها، لتفاهتها، أو لتضمنها فيما تقدم من المذاهب [1].

ولكن.. هل وصلت هذه النظريات المختلفة، إلى حل واضح لهذا الموضوع الشائك، موضوع نشأة اللغة الإنسانية؟ بالطبع لا ... ! وإن هذا المذهب الأخير، على الرغم مما يبدو فيه من ثوب علمي، فإن فيه كذلك عيبا خطيرا، وهو أنه يتخذ الطفل أساسا، لتطبيق مراحل نمو اللغة عند الإنسان الأول، مع أن هناك فارقا مهما بين لغة الطفل، ولغة هذا الإنسان الأول، ذلك لأن الطفل يكتسب هذه اللغة من أبويه، والمحيطين به، وهم لا يملون من ترديد المقاطع التي يتفوه بها الطفل، ويصلحون له أخطاءه، حتى يصل إلى مرحلة النضج اللغوي، ولم يكن هذا أمر متيسرا للإنسان الأول، الذي كان يسير على غير هدى في لغته، لا يجد أمامه من يردد مقاطعه وجمله، ليحاكيها ويصل بها إلى مراحل النضج والإحكام.

(١) المرجع السابق ،ص١٢٢

وفي ذلك يقول "ماريو باي": كان من الطبيعي أن يلجأ الباحثون إلى دراسة تطور مهارة الكلام عند الطفل منذ مولده، إبان محاولتهم إلقاء الضوء على نشأة اللغة وتطورها. وعندما أجريت هذه التجارب على أطفال أسوياء، في ظروف طبيعية، انتهت -فيما يتعلق بنشأة اللغة وتطورها- إلى نتائج غير مقنعة، فكل ما دلت عليه هذه التجارب، هو أن الطفل يحاكي حديث الكبار في المجتمع الذي يعيش فيه.

ويحدثنا التاريخ عن ثلاثة رجال على الأقل، حاولوا أن يعزلوا الأطفال منذ مولدهم، حتى يثبتوا ما إذا كان الطفل يستطيع أن يتحدث بلغة، ليست في أصلها مبنية على محاكاة للكبار، فيروي "هيرودوت" أن الفرعون المصري " بسماتيك " قد أجرى هذه التجربة على طفلين، وأن أول كلمة نطقا بها، هي كلمة: "بيكوس" Bekos ومعناها: " خبز" باللغة الفريجية (دولة قديمة في آسيا الصغرى) عندئذ ثبت للفرعون المصري، أن هذه اللغة، هي أصل اللغات في العالم [1].

وقام " فريدرك الثاني" في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي، بتجربة مماثلة، ويقال إن الطفلين ماتا قبل أن يصل الباحثون إلى نتائج حاسمة. ويدعي "جيمس الرابع" ملك اسكتلندا حوالي سنة ١٥٠٠م" أن الأطفال الذين أجرى عليهم تجربته، قد استطاعوا أن يتحدثوا باللغة العبرية بطريقة مفهومة، ولما كانت الضوابط العلمية تنقص هذه التجارب الثلاث، فلا يمكننا أن نصل إلى نتائج مقنعة على أساسها، خاصة فيما يتعلق بنشأة اللغات. وهكذا نرى أن موضوع نشأة اللغة، لا يزال الخوض فيه، من الأمور الفلسفية الميتافيزيقية، التي تخرج الباحث فيها عن نطاق الحقائق العلمية، إلى

(١) المرجع السابق ،ص١٢٣

البحـث فيمـا وراء الطبيعـة، وفـي أمـور لا نملـك منهـا اليـوم أيـة وثـائق أو مستندات [1].

(شاهد الفيديو)

(١) المرجع السابق ،ص١٢٤

الفصل الثالث : الفصائل اللغوية

أولا : تصنيف اللغات إلى فصائل

قسم اللغويون الأوربيون في القرن التاسع عشر اللغات المختلفة إلى مجموعات؛ فهناك أسرة اللغات الهندية -الأوربية التي تضم عددًا كبيرًا من اللغات المنتشرة في منطقة شاسعة من الهند وإيران إلى أوربا، وهناك أسرة اللغات السامية التي تنتمي إليها اللغة العربية. وإلى جانب هاتين الأسرتين الكبيرتين هناك أسرات لغوية كثيرة أخرى، ويقوم تصنيف اللغات إلى أسرات على أساس أوجه الشبه بين هذه اللغات من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ، وقد يحدث تغير في المكونات الصوتية يجعل لغة من اللغات تختلف في مرحلة من مراحل تطورها عن اللغة الأم التي انحدرت عنها، وهنا يحاول اللغويون تسجيل هذا التغير في قوانين تفسر التغيير الصوتي ويطلق عليها اسم القوانين الصوتية، وقد تنمو الصيغ الصرفية وتتغير أشكالها وتنشأ من العناصر القديمة كلمات جديدة، وهنا يبحث اللغويون مدى الاتفاق والتشابه في الصيغ الصرفية بين اللغات المندرجة في أسرة لغوية واحدة، بهدف إثبات اتجاهات التغير الصرفي. ومثل هذا يقال بالنسبة للتغير الدلالي فإن دلالة الكلمات تتغير وتختلف بشكل ما في اللغات المختلفة التي خرجت عن أصل واحد مشترك وهنا تكون مقارنة الكلمات المشتركة بدلالتها المتغيرة في لغات الأسرة الواحدة موضوعًا من موضوعات البحث المقارن [1] .

إن تصنيف اللغات إلى أسرات يعني أن اللغات المندرجة في أسرة لغوية واحدة ترجع إلى لغة واحدة هي الأصل الذي تفرعت عنه لغات الأسرة كلها، فعندما يقال بأن العربية والآرامية لغتان ساميتان فالمقصود أن اللغتين من أصل واحد، وأنهما تطورتا عن لغة واحدة هي اللغة السامية الأولى، وقد

(١) د. محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ،ص ١١٩

افترض العلماء وجود هذه اللغة في عصور مغرقة في القدم لتفسير انتماء اللغات العربية والآرامية والحبشية إلخ.. إلى أسرة لغوية واحدة، وعندما يذكر الباحثون أن اللغتين العربية والفارسية من أصلين مختلفين؛ العربية سامية والفارسية هندية أوربية، فالمقصود أن كليهما تطورت عن أصل مستقل وأنهما بذلك من أسرتين لغويتين مختلفتين، وتكون الفارسية مع عدد من اللغات في الهند وأوروبا أسرة لغوية كبيرة، وهي الأسرة الهندية – الأوروبية [1] ، لقد أدت الدراسة اللغوية المقارنة في القرن التاسع عشر إلى تصنيف اللغات على أساس أوجه الشبه بينها وكلما زادت أوجه الشبه بين لغتين أو أكثر عدت هذه اللغات الأكثر تشابهًا فرعًا لغويًّا في إطار الأسرة اللغوية الواحدة. وبهذا المعنى يذكر الباحثون العربية الشمالية والعربية الجنوبية واللغات السامية في الحبشة باعتبارها تكون الفرع الجنوبي من أسرة اللغات السامية لأن هذه اللغات أكثر تشابهًا، وتشترك في صفات أكثر من الصفات التي تشترك فيها مع باقي اللغات السامية. وتنقسم الأسرة الهندية - الأوربية بدورها إلى عدة أفرع، فإذا قارن أحد الباحثين اللغة الأردية باللغة الفرنسية مثلا لم يستطع أن يتبين أوجه شبه تذكر، ولكن أوجه الشبه تتضح بمقارنة اللغات الفرنسية والإيطالية والإسبانية والرومانية. ترجع هذه اللغات إلى أصل واحد هو اللاتينية ولذا تكون هذه اللغات فرعًا واحدًا من أفرع الأسرة الهندية - الأوربية وهو الفرع الروماني. وهناك أوجه شبه كبيرة بين الإنجليزية والألمانية وغيرهما من لغات الفرع الجرماني من الأسرة الهندية - الأوربية. تتضح أوجه الشبه بصورة متزايدة كلما كانت النصوص موضع البحث قديمة. ولذا فقد أمكن عن طريق مقارنة اللغات الأقدم في كل فرع من أفرع الأسرة الهندية - الأوربية إثبات أن هذه اللغات من أصل واحد هو اللغة الهندية

(١) المرجع السابق ،ص١٢٠

الأوربية الأولى، وكانت مهمة البحث بعد ذلك بيان أوجه الاختلاف بين هذه اللغات وتفسير ذلك بقوانين تاريخية.

يقوم علم اللغة المقارن على دراسة مجموعة من اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة وليس المقصود بذلك القدرة على التحدث بهذه اللغات القديمة والحديثة أو القدرة على الكتابة بهذه اللغات، بل المقصود بحث هذه اللغات، فعلى الرغم من ضرورة معرفة الباحث المقارن بكل اللغات موضع المقارنة فعليه أن يبحث بنية ومعجم هذه اللغات بهدف إيضاح العلاقة التاريخية التي تربط لغات الأسرة الواحدة وأن يفسر هذه العلاقات بقوانين ثابتة مطردة، لقد أثبت تاريخ الحضارة في الشرق والغرب أن مجرد المعرفة باللغات المتشابهة والمختلفة لا يعني بالضرورة قيام بحث مقارن فيها، فلم يؤد معرفة كثير من العلماء على مدى القرون بعدة لغات إلى قيام دراسات مقارنة بالمعنى الذي حدث في القرن التاسع عشر، ففي العصور الوسطى كان كثير من العلماء يؤلفون بلغات ويتحدثون في حياتهم اليومية بلغات أخرى [1].

نظريات تقسيم اللغات الإنسانية إلى فصائل :

حاول كثير من علماء اللغة أن يرجع اللغات الإنسانية إلى فصائل عامة، وقد اختلفت وجهات نظرهم بهذا الصدد اختلافًا كبيرًا.

وأشهر النظرية في تقسيم اللغات الإنسانية إلى فصائل لغوية هي نظرية شليجل Schlegel، حيث تستند هذه النظرية في تقسيم اللغات إلى قوانين

(١) المرجع السابق ،ص١٢١

التطور والارتقاء المتعلقة بقواعد الصرف والتنظيم ، حيث قسمت اللغات الإنسانية إلى ثلاث فصائل ، هي [1]:

في ضوء هذه النظرية ثلاث فصائل:

١- اللغات التحليلية Analytiques.

٢- اللغات الإلصاقية Agglomerantes.

٣- اللغات العازلة isolantes.

ويرى أصحاب هذه النظرية أن اللغة الإنسانية نشأت عازلة، ثم تطورت فأصبحت إلصاقية، ثم ارتقت أخيرًا إلى التحليلية.

أ- اللغة العازلة هي غير المتصرفة؛ فبنية الكلمات فيها لا تتغير، وأصولها لا تلصق بها حروف زائدة لا قبلها ولا بعدها، وليس بين أجزاء تراكيبها روابط وصلات، ويدخل في هذه اللغة الصينية، الصينية والسيامية والتبتية وكثير من اللغات البدائية.

ب- اللغة الإلصاقية: هي لغة وصليه تمتاز بالسوابق prefixes واللواحق Suffixes، التي تربط بالأصل فتغير معناه، وعلاقته بما عداه من أجزاء التركيب، وأشهر هذه اللغات: اليابانية والتركية والمنغولية والمنشورية واليابانية ولغات الباسك.

ج- اللغة التحليلية: هي المصرفة التي تتغير أبنيتها بتغير المعاني وتحلل أجزاؤها المترابطة فيما بينها بروابط تدل على علاقاتها، ومن هذه اللغات: السامية، وفي طليعتها العربية والعبرية ، وأكثر اللغات الهندية، والأوربية.

وأصحاب هذه النظرية يستدلون على مراحل التطور فيها بلغة الطفل ولغات الأمم البدائية، ويرون أن مرحلة التصريف والتنظيم مرحلة متأخرة في اللغات الإنسانية، ولكن هذا خطأ، فجميع الظواهر " العزل والإلصاق والتصريف " موجودة في مختلف الألسنة، ومن العسير أن تتجرد منها لغة من اللغات.

---

(١) على عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ص١٩٧

وبعضهم قطع النظر عن موضوع التطور والارتقاء، وقسّم اللغات الإنسانية إلى فصائل يجمع أفراد كل فصيلة منها صلات قرابة لغوية؛ فتتفق في أصول الكلمات، وقواعد البنية، وتركيب الجمل ... وما إلى ذلك، ويتكون من الأمم الناطقة بها مجموعة إنسانية متميزة، ترجع إلى أصول شعبية واحدة أو متقاربة، وتؤلف بينها طائفة من الروابط الجغرافية والتاريخية والاجتماعية.

ولعل أفضل النظريات في تقسيم اللغات هي التي تعوّل على صلات القرابة اللغوية، فتنشئ من كل مجموعة مماثلة أو متشابهة في الكلمات وقواعد البنية والتراكيب فصيلة من الفصائل، تؤلف بينها غالبًا روابط جغرافية وتاريخية واجتماعية [1].

وعلى هذا الأساس لاحظ العلماء مجموعتين هامتين متميزتين، سموا إحداهما: الفصيلة الهندية - الأوربية Indo - Europeenne، والأخرى الحامية - السامية Chamito - Samitiques، وتنبهوا إلى صلات القرابة بين اللغات الداخلة تحت كلٍّ منهما على حدة، وإلى الصفات المشتركة بين الفصيلتين كلتيهما، ثم جاء ماكس مولر Max Moller بتقسيمه الثلاثي للغات، حين سمى طائفة من اللغات الأسيوية والأوربية التي لا تدخل تحت الفصيلتين السابقتين باسم اصطلاحي هو الفصيلة الطورانية Touranienne، وإنما كان الاسم اصطلاحيًّا؛ لأن أفراد الفصيلة الأخيرة متنوعة جدًّا، ومتباعدة جدًّا، وليس بينها روابط لغوية واضحة، وهذا ما دعا المحدثين من علماء اللغة إلى تقسيم ما بقي من اللغات الإنسانية إلى تسع عشرة فصيلة، تنفرد كل فصيل منها بروابط من القرابة اللغوية في الأصول والقواعد والتراكيب، وبذلك أصبحت فصائل اللغات الإنسانية إحدى وعشرين؛ أهمها الأوليان، والباقية ثانوية متفرقة في أنحاءٍ مختلفة من العالم، وسنتكلم على كل فصيلة منها على حدة فيما يلي:

---

(١) د. صبحي إبراهيم الصالح: دراسات في فقه اللغة، ص٤١

أ- الفصيلة الهندية – الأوربية :

وهي أكثر اللغات الإنسانية انتشارًا، والشعوب الناطقة بها جليلة الأثر في الحضارة الإنسانية الحديثة، ومن العسير تحديد موطنها الأصلي، فمن ذاهب إلى نشأتها في آسية بمنطقة التركستان، ومن قائل بنشأتها في المناطق الروسية بأوروبة الشرقية، ومن أنها في مناطق بحر البلطيق ، وهي تشتمل على ثمانٍ من طوائف اللغات:

١- اللغات الهندية-الإيرانية ، أو اللغات الآرية وتشمل شعبتين:

أحداهما شعبة اللغات الهندية " السنسكريتية Sanskrit البراكريتية Prakrit ، اللغات الهندية الحديثة ... Langues Neo-Indoues " إلخ.
والأخرى شعبة اللغات الإيرانية "الفارسية القديمة Vieux perse و الأفستية، والزند أفستية,Avestique et zend-Avestique وهي لغة الأسفار المقدسة المسماة الأفستا وشروحها المسماة الزند -أفستا، و الفهلوية Pehlvi، والفارسية الحديثةNeo-Persan ، والكردية Kurde ، والأسيتيةOssete ، وهي لغة الأسيتيين ,Ossetes وهم سكان القوقاز الأوسط، والأفغانية أو البشتو ... وهلم جرا .
ولكثرة وجوه الشبه بين هاتين الشعبتين عدهما علماء اللغة طائفة واحدة سموها طائفة " اللغات الهندية -الإيرانية أو طائفة اللغات الآرية " [١] .
وكان القدامى من علماء اللغة يتوسعون في كلمة " اللغات الآرية "؛ فيطلقونها على جميع طوائف الفصيلة الهندية-الأوربية؛ لأن معظم المتكلمين بهذه الفصيلة من اللغات ينتمون إلى الجنس الآري، ولكن المحدثين منهم آثروا

(١) على عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ص١٩٧

العدول عن هذا الاستعمال اتقاءً للخلط واللبس، فأصبحوا لا يطلقون كلمة "اللغات الآرية" إلّا على الطائفة التي نحن بصدد الكلام عليها [1].

٢- اللغات الأرمنية Langues Armeniennes

٣- اللغات الإغريقية وتشمل اللغات اليونانية القديمة، وأشهر هذه اللغات : اليونية- الأتيكية، والدورية وتشمل كذلك اللغات اليونانية التي تكونت في القرون السابقة للميلاد، وقامت على أنقاض اللغات اليونانية القديمة، واشتهرت عند علماء اللغة باسم " اليونانية الحديثة " وتشمل كذلك اللغات اليونانية في العصر الحاضر .

٤- اللغات الألبانية.

٥- اللغات الإيطالية وتشمل الأسكيةOsque ، والأمبرية-السمنية Ombrien-Samniteواللاتينية، واللغات الرومانية Langues Romanes,وهي المتفرعة من اللاتينية؛ كالفرنسية والبرتغالية والإيطالية والأسبانية ولغة رومانيا ... إلخ.

٦- اللغات السلتية أو الكلتية Langues Celtiques التي كانت لغات شعوب السلت أو الكلت .Les Celtes وقد طغت عليها الآن اللغات الفرنسية والإنجليزية والأسبانية، ولكن بقي بعض أشكال منها في كثير من اللهجات المحلية بأيرلندا وويلز ومنطقة البريتون Bretagne بغرب فرنسا.

٧- اللغات الجرمانية Langues Germaniques وتشمل ثلاث شعب:

الشعبة الأولى : شعبة اللغات الجرمانية الشرقية، وهي اللغة الجوتية " Gothequeوهي لغة قبائل الجوث Goths وهو شعب قديم كان يسكن جرمانيا الشرقية."

الشعبة الثانية : شعبة اللغات الجرمانية الشمالية، وهي لغات أيسلندا والدانيمارك والسويد والنرويج [1].

([1])على عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ص١٩٧

الشـعبة الثالثـة : شـعبة اللغـات الجرمانيـة الغربيـة، وتشـمل الإنجليزيـة- السكسونية، والإنجليزية الحديثة، والهولاندية، واللغات الفلامندية لغة مقاطعة الفلاندر ببلجيكا، ويتألف من هذه اللغة مع اللغة الهولندية فرغ لغوي واحد يسمى فرع اللغات النئر لاندية"، واللغات الألمانية ... إلخ.

٨- اللغات البلطيقية السلافية وتشمل شعبتين:

الشعبة الأولى : شعبة اللغات البلطيقية، وهي الليتوانية Lituanienne لغة ليتوانياLituanie والليتونية Lette لغة ليتونيا Lettonie أو لاتفيا "Latvia و البروسية القديمة.

الشعبة الثانية : شعبة اللغات السلافية أو الصقلية، وهي السلافية القديمة، والروسية، والبولونية، والتشيكية، والصربية -الكرواتية والبلغارية الحديثة ومن هذا يظهر أن اللغات الهندية-الأوربية هي أكثر اللغات الإنسانية انتشارًا؛ إذ يتكلم بها الآن جميع سكان أوربا والأمريكتين وأستراليا وجنوب أفريقيا، ما عدا بعض جماعات قليلة بأوروبا تتكلم البسكية أو الفينية أو المجرية أو التركية ... وما إلى ذلك، وما عدا السكان الأصليين للأمريكتين وأستراليا وجنوب أفريقيا الذين انقرض معظمهم ولم يبق منهم الآن إلّا عدد يسير آخذ في الانقراض، ويتكلم بها كذلك قسم كبير من سكان آسيا مثل : الهند، فارس، أفغانستان، كردستان، القوقاز الأوسط، أرمينيا ... إلخ.

ويرجع الفضل في انتشار هذه الفصيلة إلى عوامل كثيرة أهمها:

- الغزو والاستعمار، فعلى أثر غزو الآريين للهند انتشرت لغاتهم في هذه البلاد، وقضت على لغات السكان الأصليين -لم يبق من هذه اللغات إلّا آثار ضئيلة، سنعرض لها في أثناء كلامنا في الفصيلة الثالثة، وعلى أثر استعمار

---

(١) على عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ص١٩٨

(٢) المرجع السابق ،ص١٩٩

الأوربيين للأمريكتين وأستراليا وجنوب أفريقيا انتقلت إلى هذه المناطق اللغات الإنجليزية والأسبانية والفرنسية والبرتغالية.

أما المواطن الأول لهذه الفصيلة فلا نكاد نعرف شيئًا يقينيًّا عنه، وقد ذهب العلماء بصدده مذاهب كثيرة تعتمد في معظم نواحيها على الحدس والتخمين، وفي نواحٍ أخرى على حجج ضعيفة لا يطمئن إلى مثلها التحقيق العلمي؛ فمن قائلٍ أنها نشأت بأوربا الشرقية بالمناطق الروسية؛ ومن قائلٍ أنها نشأت بمناطق بحر البلطيق.

وتمتاز هذه الفصيلة بكثرة شعبها واتساع هوة الخلاف بين أفرادها، فقد انقسمت إلى الطوائف الثمان السابق ذكرها، وانقسمت كل طائفة من هذه الطوائف إلى شعب، وكل شعبة إلى عدد كبير من اللغات، وسلكت كل لغة من هذه اللغات في ارتقائها سبيلًا يختلف عن سبيل غيرها، فكثرت وجوه الخلاف بينها، وتضاءلت وجوه الشبه، حتى أن بعضها ليبدو غريبًا عن بعض، ولا تظهر صلة قرابته به إلّا بعد تأمل عميق.

ويرجع السبب في هذا إلى عوامل كثيرة؛ أهمها اختلاف البيئات التي انتشرت فيها هذه الفصيلة، واختلاف الشئون الاجتماعية التي اكتنفت الناطقين بكل شبعه منها [1].

وقد ترتب كذلك على هذه العوامل أن اختلفت كل لغة منها عما عداها في درجة رقيها ومبلغ بعدها عن أصولها الأولى؛ فمنها ما يزال جامدًا على خصائصه القديمة، ومنها ما قطع في زمن يسير مرحلة واسعة في طريق الارتقاء، ومنها ما سار في هذه السبيل بخطًى متئدة بطيئة؛ فانتشار الشعبة الإيرانية مثلًا في مناطق عريقة في الحضارة، وتأثرها باللغات التي كانت سائدة في هذه المناطق ... كل ذلك وما إليه قد ذللها وسائل الارتقاء، فسارت في هذا السبيل بخطًى حثيثة، حتى وصلت في أوائل القرن الأول الميلادي

(1) على عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ص٢٠٠

إلى شأنٍ لم تبلغ مثله اللغات الأوروبية إلّا حوالي القرن العاشر، على حين أن انتشار اللغة الليتوانية مثلًا في منطقة زراعية ضيقة تغلب على أهلها صفة المحافظة على القديم، وبقاء هذه المنطقة بمعزلٍ عن تيارات الحضارة وعن المؤثرات الخارجية ... كل أولئك قد عاق تقدم هذه اللغة، فظلَّت محتفظة بكثير من الأشكال الأولى لفصيلتها.

ب - الفصيلة الثانية : السامية – الحامية - Langues Chamitw Semitiqes

وتشمل هذه الفصيلة مجموعتين من اللغات :إحداهما مجموعة اللغات السامية، والثانية مجموعة اللغات الحامية.

أما مجموعة اللغات السامية فتضم عدة لغات ، هي :

- اللغات السامية الشمالية وهي : اللغة الأكادية Acadian أو الآشورية البابليةssyro-Babyloiennes ، واللغات الكنعانية (الأوجاريتية - العبرية – الفينيقية - المؤابية) ، واللغات الآرامية .

- اللغات السامية الجنوبية وهي : العربية والعربية الجنوبية (اليمنية القديمة) واللغات الحبشية السامية.

وأما مجموعة اللغات الحامية فتضم عدة لغات ، هي [1] :

- اللغات المصرية، وتشمل المصرية القديمة والقبطية.

- اللغات الليبية أو البربرية، وهي لغات السكان الأصليين لشمال أفريقيا - ليبيا وتونس، والجزائر، والمغرب، والصحراء، والجزر المتاخمة لها- فتشمل اللغات القبيلية Kabyles والشاوية- Chaouia اللغات القديمة لسكان الجزائر- والتماشكية- Tamachek وهي اللغات القديمة لقبائل التوارج Touaregوهي قبائل رحالة بصحراء المغرب- واللغات الشلحية أو لغات

(١) المرجع السابق ،ص٢٠١

الشلحا، أو لغات أهل الشلوح- chellouh لغات السكان الأصليين لجنوب المغرب- ولغات زناجة- Zenaga لغات السكان الأصليين لجنوب المغرب- ولغات زناجة Zenaga واللغات الجونشية- Guanche لغات السكان الأصليين لجزر قناريا Canaries بالمحيط الأطلنطي، في الشمال الغربي من الصحراء الكبرى [١].

- اللغات الكوشيتية Couchitiques وهي لغات السكان الأصليين للقسم الشرقي من أفريقيا المحصور بين درجة العرض الرابعة جنوب خط الاستواء وحدود مصر، ما عدا المناطق الحبشية الناطقة بلغات سامية، والتي تقدَّم ذكرها في المجموعة الأولى، وما عدا بعض المناطق السودانية، وما إليها التي سيأتي ذكر لغاتها في الفصيلة الثالثة، فتشمل اللغات الصومالية، ولغات الجالا، والبجا، ودنقلة، والأجاو والأفار أو الساهو، والسيداما ... إلخ Somali, Galla, Bedja, Dankali, Agaw, Afar, ou Saho Sidama etcويتكلم باللغات الكوشية كذلك نحو ثلث سكان الحبشة.

ومن هذا يظهر أن المنطقة التي تشغلها الفصيلة السامية – الحامية أصغر كثيرًا من المنطقة التي تشغلها الفصيلة الهندية الأوروبية، فبينما الفصيلة الهندية الأوروبية تشغل أوروبا والأمريكتين وأستراليا وجنوب أفريقيا وقسمًا كبيرًا من آسيا، إذ الفصيلة الحامية-السامية لا تشغل إلّا بلاد العرب وشمال أفريقيا ، فمنطقتها لا تتجاوز عشرين مليون كيلو مترًا مربعًا، بها قسم كبير صحراوي ، ولكنها تمتاز عن الفصيلة الهندية الأوروبية بأن منطقتها متماسكة الأجزاء لا يتخللها أي عنصر أجنبي.

ويتألف من الناطقين بها مجموعة شديدة التجانس، تتلاقى شعوبها في أصول واحدة قريبة، وتتفق في أساليب الحياة ونوع الحضارة والنظم الاجتماعية [٢].

---

(١) على عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ص٢٠٢

(٢) على عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ص٢٠٣

ويجمع بين اللغات السامية -المجموعة الأولى من هذه الفصيلة- كثير من الصفات المشتركة المتعلقة بأصول الكلمات والأصوات ومخارج الحروف وقواعد الصرف والتنظيم ... وما إلى ذلك، وقد قويت وجوه الشبه بين بعض أفردها حتى ليحسبها الباحث مجرد لهجات للغة واحدة .

أما مجموعة اللغات الحامية - المجموعة الثانية من هذه الفصيلة- فلا يوجد بين طوائفها الثلاث - المصرية، والبربرية، والكوشيتية- من وجوه الشبه والقرابة اللغوية أكثر مما يوجد بين كل طائفة منها ومجموعة اللغات السامية، فاعتبارها مجموعة متميزة هو مجرد اصطلاح لا يتفق في شيء مع حقائق الأمور.

ولذلك عدل بعض المحدثين عن تقسيم هذه الفصيلة إلى مجموعتين،وجعلها أربع مجموعات :السامية، والمصرية، والبربرية، و الكوشية.

وتختلف هذه المجموعات الأربع بعضها عن بعض اختلافًا غير يسير في كثير من الظواهر، ولكن بينها، على الرغم من ذلك، من وجوه الشبه والقرابة اللغوية ما يسمح بجعلها فصيلة واحدة مقابلة للفصيلة الهندية الأوربية[1] .

هذا، وقد تغلبت مجموعة اللغات السامية على المجموعات الثلاث الأخرى، واحتلت كثيرًا من مناطقها. فاللغات القبطية والبربرية قد انهزمت أمام اللغة العربية، ولم يبق من البربرية الآن إلّا فلول ضئيلة٢، وكذلك كانت نهاية الكوشيتية في صراعها مع اللغات السامية؛ فقد احتلت اللغات السامية معظم مناطقها، ولم يبق الآن من اللغات الكوشيتية إلّا بعض لهجات قليلة في بلاد الصومال، والحبشة وفي المناطق المتاخمة لها.

وقد اشتبكت اللغات السامية نفسها في صراع بعضها مع بعض، وأول صراع حدث بينها كان صراع الآرامية مع اللغات الأكادية و الكنعانية؛ فقد اشتبكت في صراع مع الأكادية أولًا وقضت عليها في أوائل القرن الرابع ق. م، ثم

(1) على عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ص٢٠٤

صارعت العبرية في أواخر الرابع ق. م، وتغلبت على الفينيقية بآسيا في القرن الأول ق. م. والصراع الثاني كان صراع العربية مع أخواتها؛ فقد اشتبكت في صراع مع اللغات اليمنية القديمة، وقضت عليها قبيل الإسلام، ولم يفلت من هذا المصير إلّا بعض مناطق متطرفة نائية ساعد انعزالها وانزواؤها على نجاتها، فظلت محتفظة بلهجتها القديمة حتى العصر الحاضر، ثم اقتحمت العربية على الآرامية معاقلها في الشرق والغرب وانتزعتها منها معقلًا معقلًا حتى تمَّ لها القضاء عليها حوالي القرن الثامن الميلادي، ولم يفلت من هذا المصير إلّا بعض مناطق منعزلة لا تزال تتكلم اللهجة الآرامية إلى العصر الحاضر، وامتد أثر العربية إلى الأمم الآرية و الطورانية التي اعتنقت الدين الإسلامي - الفرس، الهنود، الأتراك، الإندونيسيين ... إلخ- فاحتلت لديها مكانة مقدسة سامية، وتركت آثارًا عميقة في كثير من لغاتها، فاتسعت بذلك مناطق نفوذها [1].

ج- الفصيلة الثالثة :اللغات الطورانية Langues Touraniennes

أطلق ماكس مولر و بونسن Bunsen اسم" اللغات الطورانية "على طائفة من اللغات الأسيوية والأوربية التي لا تدخل تحت فصيلة من الفصيلتين السابقتين، كالتركية والتركمانية والمغولية والمنشورية والفينية .

فاللغات الطورانية ليست إذن فصيلة بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة، أي :مجموعة ترجع إلى أصول واحدة، ويجمع بين أفرادها صلات تشابه وقرابة، بل هي عدد من اللغات لا يؤلف بينها إلّا صفة سلبية، وهي عدم دخولها في إحدى الفصيلتين السابقتين، هذا إلى أن القائلين لها لم يدخلوا تحتها جميع اللغات الإنسانية الخارجة عن الفصيلتين المذكورتين، بل قصروها على طائفة منها، وهي بعض اللغات الأسيوية والأوروبية.

([1]) على عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ص٢٠٥

فهذا قسم غير قائم على أساس، وغير شاملٍ لما بقي من لغات العالم[1].

ولذلك عدل المحدثون من علماء اللغة – ومنهم رينان - عن استعمال كلمة " اللغات الطورانية " وعمدوا إلى ما بقي من اللغات الإنسانية خارجًا عن الفصيلتين السابقتين؛ فقسموه إلى فصائل يجمع بين أفراد كل فصيلة منها صلات تشابه وقرابة لغوية، فتتفق في أصول الكلمات وقواعد البنية وتركيب الجمل، ويتكون من الأمم الناطقة بها مجموعة إنسانية متميزة ترجع إلى أصول شعبية واحدة أو متقاربة، ويؤلف بينها طائفة من الروابط الجغرافية والتاريخية والاجتماعية.

وأحدث نظرية بهذا الصدد هي النظرية التي ذهبت إليها" جمعية علم اللغة بباريس Societe de Linguistique de Paris " في موسوعتها " لغات العالم Les Languesdu Monde " إذ قسمت، على الأسس السابق ذكرها، جميع اللغات الإنسانية الخارجة عن الفصيلتين الحامية - السامية، والهندية -الأوربية، إلى تسع عشرة فصيلة ,وهي:

١- فصيلة اللغات اليابانية.

٢- فصيلة اللغات الكورية " Coreen " لغات سكان شبه جزيرة كوريا التي كانت تابعة لليابان، والواقعة بين اليابان والبحر الأصفر."

٣- لغة الأينو , La Langue Ainou ويتكلم بها الآن نحو ثلاثين ألفًا من سكان جزيرة هوكادو ,Hokkado وجزيرة ساخالين ,Shakhaline وجزيرة شيكوتان" Shikhotan وكلها كانت تابعة لليابان، والجزيرتان الأخيرتان تابعتان الآن لروسيا، وأما هوكادو فهي واحدة من جزر أربع تعد أكبر الجزر التي تتألف منها اليابان١.

ولم تثبت صلة قرابة بين هذه اللغة وأية لغة من اللغات الحية، ولذلك عدت فصيلة على حدتها.

---

(١) على عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ص٢٠٦

٤- فصيلة اللغات الصينية - التبتية :وتشمل اللغات الصينية الأصلية ولهجاتها، والتبتية Tibetain و البرمانية , Birman والسيامية " Siamois لغة سيام " [١].

٥- فصيلة اللغات الأسترالية الأسيوية :التي يتكلم بها القسم الأسيوي الجنوبي المنحدر إلى أستراليا، وتطلق على ثلاث شعب؛ شعبة اللغات الأنامية -لغة سكان أنام من الهند الصينية، وشعبة اللغات المونديـة Langues Mounda,أو الكولارية kolariens, من أقدم لغات الهند، بل من أقدم اللغات الإنسانية جميعها، ويتكلم بها الآن نحو مليون نسمة من الهنود، ومنطقتها في الجزء الجنوبي من الهند، وشعبة اللغات المونكهمريا Les " Mon-khmerويدخل فيها المنية Le Mon, والكهمرية Khmer أو الكمبدجية Cambodgien والتشامية Tcham, ويتكلم بهذه اللهجات بمنطقة أسام Assam .وما إليها .

٦- فصيلة اللغات الدرافيدية :Dravidienne لغات بعض الشعوب التي كانت تقطن جنوب بلاد الهند قبل أن يهاجر إليها الآريون، وتشمل التاموليـة Tamoulوالكانارية Kanarais وغيرهما.

٨،٧- اللغات القوقازية :ولا يطلق هذا الاسم في اصطلاح علماء اللغات على جميع اللغات القوقازية، بل على مجموعة خاصة منها، وهي اللغات القوقازية التي ليست سامية، ولا هندية - أوربية، ولا أورالية- ألتائية"، وتشمل فصيلتين لم تثبت بعد صلات القرابة بينهما بشكل قاطع١، ولذلك عددناهما فصيلتين لا فصيلة واحدة ,وهما :فصيلة اللغات القوقازية الشمالية؛ وتشمل الساموريـة Samourienوالأرتسية Artsi والأديغية ..Adeghe وغيرها، وفصيلة

(١) على عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ص٢٠٦

اللغات القوقازية الوسطى؛ وتشمل الجيورجية Georgien واللازية Laze..وغيرها [1].

٩- فصيلة اللغات الأسيوية القديمة Langues propres de l Asie anterieure ancienne - : يطلق هذا الاسم في عرف علماء اللغة على لغات آسيوية قديمة غير سامية ولا هندية - أوروبية، كان يتكلم ببعضها في مملكة ميزوبوتاميا- Mesopotamie مملكة قديمة كانت تقع بين دجلة والفرات- وببعضها في آسيا الصغرى، وفي المناطق المتصلة من حوض البحر الأبيض المتوسط، وفي بعض أجزاء من إيطاليا.

ومن أهم لغات هذه الفصيلة اللغة السومرية Sumerien ، وهي لغة غير سامية ولا هندية - أوروبية، كان يتكلم بها شعب مجهول الأصل، كان يسكن حوض الفرات الأدنى بقرب خليج فارس، أي :في المنطقة التي احتلتها فيما بعد الشعوب السامية الآشورية والبابلية، ونشرت فيها لغاتها الأكادية -شعبة من اللغات السامية، وتسمى كذلك شعبة اللغات الآشورية - البابلية.

ويرجع الفضل في الوقوف على اللغة السومرية إلى ما عثر عليه أخيرًا من آثارها مكتوبًا بالخط المسماري وتتألف هذه الآثار من وثائق هامة بعضها أدبي - لغوي" شعر، قواعد، بحوث لغوية..إلخ "، وبعضها علمي" فلك، طبيعة ... إلخ " ، وبعضها اجتماعي - تاريخي يعرضون للشئون الاقتصادية والقضائية والسياسية والإدارية والدينية والأسطورية والتاريخية وهلم جرا [2].

١٠- فصلة اللغات التركية والمغولية و المنشورية.

١١- فصيلة اللغات الفينية Fiois والأجرية Ougriennes والساموييدية " Samoyedesويتكلم بهذه اللغات في الحوض الأوسط لنهر الفولجا

---

(1) على عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ص٢٠٨

(2) المرجع السابق، ص٢٠٩

,"Volgaويدخل في الفينية اللغات الفنلندية و الأستونية والبلغارية القديمة وغيرها، ويدخل في الأجرية اللغات اللابونية- Lapons لا تزال لهذه اللغات بقايا في السويد والنرويج وغيرهما، واللغات الهنغارية.. وغيرها، وتتشعب السامويدية إلى الأستياكية Ostiak واليوراكية Yourak والتافجوية Tavgui وغيرها.

هذا، وقد كان القدامى من علماء اللغة يجمعون معظم أفراد الفصيلة العاشرة والحادية عشرة تحت فصيلة واحدة كانوا يسمونها :الأورالية - الألتائية Ouralo- Altaiqueأو الطورانية، ولكن ظهر للمحدثين فساد هذا المذهب، وتبين لهم أن كلتا المجموعتين مستقلة عن الأخرى.

١٢- لغة الباسك ,Basque أو الأسكارا ,Euskara ويتكلم بها الباسكيون، وهو شعب يقطن منطقة جبال البرانس الغربية في العدوتين الأسبانية والفرنسية، بمناطق بيسكاي Biscaye وألافا Alava وجويبوزكوا Guipzcoaونافار" Navare بأسبانيا"، وبمناطق بيون Bayonne ومولیون Mauleon بفرنسا [1].

ويدل الإحصاء الذي قام به لويس - لوسيان بونابرت Louis-Luciec Bonaparteعام ١٨٧٣ م أن عدد المتكلمين بهذه اللغة يبلغ ٦٦٠ ألفًا في أسبانيا، ونحو ١٤٠ ألفًا في فرنسا، ولكن ليس من شكٍّ في أن منطقة اللغة الباسكية، وبخاصة منطقتها الأسبانية، كانت قديمًا أوسع كثيرًا مما يرشد إليه هذا الإحصاء، وقد ضاقت الآن من الناحية الجغرافية عما كانت عليه عام ١٨٧٣ لتغلب اللغتين الفرنسية والأسبانية على بعض أجزائها، وخاصة في إقليم نافارNavare ، وأن كان عدد سكانها - وبخاصة سكان المنطقة الأسبانية- قد زاد كثيرًا عما كان عليه سنة١٨٧٣ م.

---

(1) على عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ص٢١١

هذا، وقد هاجر إلى أمريكا عقب كشفها بعض أسرات من الباسكيين فانتشرت لغتهم في المناطق التي حلوا بها، ولا ينفك يتكلم بها الآن بضعة آلاف من أعقابهم، وتصدر بها بعض صحفهم ومجلاتهم العامة.

١٣- اللغات الهيبيربورية Heperboreennes أو لغات أقصى لشمال، وهي لغات سيبيريا وما إليها من أقاليم المنطقة المتجمدة الشمالية، وتشمل هذه الفصيلة اللغة اليوكاجيرية Youkagir التي يتكلم بها في القسم الغربي من هذه المنطقة، والتشوكتشية Tchouktcho التي يتكلم بها نحو عشرة آلاف يقطنون سيبيريا شمالي نهر أنادير Anadyr ، والكورياكية Kotyak التي يتكلم بها في المنطقة المحصورة بين نهر أنادير وشبه جزيرة كمتشاتكا Kamtchatka و الكمتشادالية Kamtchadal التي يتكلم بها نحو ألفين يقطنون شبه جزيرة كمتشاتكا وجزر كوريل Kouriles ، والجيلياكية Guiliak التي يتكلم بها في شمال جزيرة ساخالين Sakhaline وفي الحوض الأدنى لنهر آمور Amour .

١٤- اللغات الملايوية - البولينيزية ,Malayo-Polynesiennes ويتكلم بهذه الفصيلة في طائفة كبيرة من جزر المحيطين الهندي والهادي، تبدأ شرقًا بجزيرة مدغشقر -٤٠ درجة طول شرقي باريس- وتنتهي غربًا بجزيرة باك Paques ١١٠درجة طول غربي باريس، وتمتد من درجة عرض ٥٠ جنوب خط الاستواء إلى درجة عرض ٣٠ شمالية؛ فمنطقة هذه الفصيلة تشغل نحو ٢١٠ درجات طول وثمانين درجة عرض.

وتشمل هذه الفصيلة خمس شعب لغوية وهي [١]:

شعبة اللغات الأندونيسية Indonesiennes ، وهي التي يتكلم بها بجزر أندونيسيا :جزر الفيليبين، وسيليب، وبرنيو، وجاوة، وسومطرة، ومادورا، ومدغشقر ... إلخ.

---

(١) على عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ص٢١٢

وشعبة اللغات الميلانيزيةMelanesiennes ، وهي التي يتكلم بها في جزر ميلانيزيا" جزر سليمان، وسانت كروز، وتوريس، وهابريد الجديدة، ولويالتي، وفيدجي ... إلخ."

وشعبة اللغات الميكرونيزية Micronesiennes، وهي التي يتكلم بها في جزر ميكرونيزيا " جزر جلبرت، ومرشال، وكارولين، وماريان ... إلخ ".

وشعبة اللغات البولينزية ,Polynesiennes وهي التي يتكلم بها في جزر بولينزيا" جزر ساموا، وكوك، وتاهيتي أو جزر الشركة، وبوموتي، وتونجا، ومنجاريفا، وباك، وزيلندا الجديدة ... إلخ " .

وشعبة لغاب البابو Langues Papoues ، وهي اللغات التي يتكلم بها في غينا الجديدة Nouvelle Guinee والجزر المجاورة لها.

١٥- لغات سكان أستراليا الأصليين.

١٦- اللغات الأمريكية :ويتكلم بها سكان أمريكا الأصليون -الهنود الحمر ومن إليهم- وكان يبلغ عددهم حينما كشفت أمريكا حوالي ٤٠ مليونًا- أي :بنسبة ساكن واحد تقريبًا في كل كيلو متر مربع- ثم أخذ عددهم يتناقص شيئًا فشيئًا حتى هبط في أوائل القرن العشرين إلى حوالي ١٥,٥ مليونًا -أي بنسبة ساكن واحد في كل ٢،٥ كيلو متر مربع، منهم نحو نصف مليون في الوليات المتحدة وجرونلاند، ونحو ٦،٥ مليون في المكسيك وأمريكا الوسطى" هوندراس وكوستاريكا، وبنما، ونيكاراجا، وجواتيمالا، وسلفادور"، ونحو ٨،٥ مليونًا بأمريكا الجنوبية.

وقد كان لتخلخل السكان في هذه المنطقة أثر كبير في تعدد لغاتها، فقد بلغت حسب إحصاء العلامة ريفية Rivet ، 123 شعبة :منها ٢٦ بأمريكا الشمالية، و٢٠ بأمريكا الوسطى، و٧٧ بأمريكا الجنوبية [١].

---

(١) على عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ص٢١٣

ومن أشهرها بأمريكا الشمالية :لغات الإيروكويين IroquoisK والألجنكويين Algonkinsوالإسكيمو Esquimaux ، والسيو Siou ، وبأمريكا الوسطى :لغات الأموسجو Amosgo ، والكويكاتك Kuikatek واللنكا Lenkaوالمياه Maya والميسكيتو Miskito ، وبأمريكا الجنوبية :لغات الألاكالوف Alakaluf ، والأروكان ,Aroukan والأرواواك ,Arawak والأتاكاما ,Atakama والكاريب ,Karib والأيتوناما Itonama .

هذا، ولم تظهر بعد بشكل قاطع صلة قرابة لغوية أو صفة مشتركة تربط هذه الشعب بعضها ببعض؛ فالفصيلة التي نحن بصدد الكلام عنها هي إلى الفصيلة الجغرافية أدنى منها إلى الفصيلة اللغوية.

١٧- لغات السودان وغانة١ :وهي لغات غير سامية ولا حامية، تتكلم بها جماعات كثيرة من سكان السودان، وخاصة السودان الجنوبي وسكان غانة، وقد قسمها العلامة موريس ديلافوس Maurice Delafosse إلى ٤٣٥ لغة ,ترجع إلى ست عشرة شعبة٢ منها :الشعبة النيلية التشادية Nilo-tchadien " يتكلم بها في المنطقة المحصورة بين أسوان شمالًا وفاشودة جنوبًا، وتشتمل على ثلاثين لغة من أشهرها :لغات النوبة، والباريا، والتوبو، والميمي، والكوناما ... إلخ "، وشعبة اللغات النيلية - الأبيسينية" يتكلم بها في الحوض الأوسط للنيل الأزرق، وفي حوض النيل الأبيض، وبحر الجبل، وتشتمل على خمس عشرة لغة من أشهرها :لغات الشيلوك، والدنكا، والديور، والجاميلا، والدوكو ... إلخ"، وشعبة اللغات النيلية - الاستوائية" يتكلم بها في جنوب المنطقة السابقة، وتشتمل على ست وعشرين لغة، من أشهرها :لغات الباري، واللاتوكا، والليري، والكافيروندو، والتاتور ... إلخ"، وشعبة لغات كردفان" يتكلم بها في منطقة كردوفان ومنطقة جبال النوبة، وتشتمل على عشر لغات ,منها :لغات التالوري، واللافوفا، والتومتوم،

والكاندرما ... إلخ"، وشعبة اللغات النيلية - الكونغوية، وشعبة اللغات الغينية - الغانية.... وهلم جرًّا.

١٨- اللغات البنطوية Langues Bantou, ويتلكم بها سكان القسم الجنوبي من أفريقيا، في منطقة واسعة على شكل مثلث ينطبق رأسه على رأس الرجاء الصالح، ويمتد ضلعه الأيمن على الساحل الشرقي لأفريقيا حتى بلاد الصومال ، وضلعه الأيسر على الساحل الغربي حتى مدينة دوالا Douala ببلاد الكامرون ، وتتجه قاعدته من بلاد الصومال إلى المحيط الأطلنطي مارّةً شمال أوغندة والكنغو، وكل الشعوب التي تقطن هذا المثلث تتكلم البنطوية، ما عدا قبائل الهوتنتوت والبوشيمان والنيجريين، التي سيأتي ذكرها في الفصيلة التاسعة عشرة، وما عدا المتكلمين بالإنجليزية وبالأفريكانية من سكان أفريقيا الجنوبية.

وتشتمل هذه الفصيلة على لغات كثيرة؛ من أشهرها :لغات السوتو Sotho ، والسواحلي Swahili ، والدوالا Douala ، والجندا Ganda, والجالوا Galoa, والتونجا Tonga ، والزولو" Zoulou وهي التي يتكلم بها قبائل الزولو "،والهوسا Haoussa ويتكلم بها قبائل الهوسا . هذا، وقد كان العرب على اتصال بأهل زنجبار منذ عصور سحيقة، ولذلك عنوا بدراسة لغتهم "المسماة السواحلية "Swahili ودونوها بحروف عربية، وعن طريقهم وصلنا كثير من تفاصيل هذه اللهجة، أما اللغات الأخرى من هذه الفصيلة فقد عني بدراستها كثير من أعضاء الإرساليات الدينية في هذه المنطقة، ودونوها بحروف لاتينية مع أعضاء علامات لتمييز الأصوات الخاصة بها [١].

١٩- لغات البوشيمان والهوتنتوت والنيجريين Boschimans Negrilles, Hottentotes وهي من القبائل الأفريقية الجنوبية، تقطن أولاها الغابات الاستوائية والمناطق الصحراوية، ولا يتجاوز عدد أفرادها الآن

(١) على عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ص٢١٥

خمسين ألفًا، وتقطن ثانيتها منطقة محصورة بين خط عرض ٢٤ جنوب خط الاستواء، والحوض الأدنى لنهر الأورانج وبعض أجزاء من مستعمرة الكاب٢، ولا يتجاوز عدد أفرادها الآن ربع مليون يتألف معظمهم من عشائر الناماNama ، وتتألف ثالثتها من أقزام يقطنون الغابات الأستوائية.

(شاهد الفيديو)

ثانيا : اللغات السامية :

كان كثير من الباحثين الأوربيين قد لاحظوا منذ قرون أوجه الشبه بين العربية والعبرية، وكان العارفون بهما وبالسريانية في عصر الحضارة الإسلامية قد أدركوا أن هذه اللغات متقاربة، بل وعرف ابن حزم أنها من أصل لغوي واحد. وعندما بدأ بحث اللغة العربية في أوربا في القرن السادس عشر بهدف قراءة العهد القديم في نصه العبري أفاد علماء اللاهوت من اللغة العربية لفهم بعض الجوانب الغامضة في النص العبري للعهد القديم. وهكذا ارتبطت بداية الاهتمام الأوربي باللغة العبرية القديمة بحركة الإصلاح الديني التي نادت في هذا الصدد بضرورة بحث العهد القديم في نصه العبري لا في ترجماته اللاتينية، إن العهد القديم نص عبري، ولكن به سفرين بالآرامية، ولذا كان الاهتمام المبكر بالآرامية متواضعًا بقدر هذه الصفحات الآرامية القليلة في العهد القديم [1].

وبذلك تركز البحث في اللغات السامية القديمة في أوربا على لغتي الأسفار الدينية وهما العبرية والآرامية، وتوسلوا في فهمها باللغة العربية التي كانت معروفة عند بعض الباحثين الأوربيين بصورة مستمرة. واتسعت دائرة الاهتمام باللغات السامية في القرن السابع عشر عندما بدأ البحث اللغوي في لغة الجعز، أي الحبشية القديمة، بينما استمر بالعبرية والآرامية والعربية.

ولا شك أن العارفين بهذه اللغات قد لاحظوا أوجه شبه كثيرة بينها، فحاول العالم الألماني شلوتزر Schlozer 1798 تسمية هذه اللغات: العبرية والعربية والآرامية والحبشية - باسم عام يجمعها، ووجد في العهد القديم

(١) د. محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ، ص١٣٢

تقسيما للشعوب إلى أبناء حام وأبناء سام وأبناء يافث، حيث لاحظ شلوتسر أن أسماء هذه اللغات ينطبق إلى حد كبير على أسماء أولاد سام، فسمى هذه اللغات باسم اللغات السامية [١] ، وقد اقتبسه مما ورد في سفر التكوين الإصحاح العاشر بصدد الحديث عن أولاد نوح الثلاثة (سام وحام و يافث) والشعوب التي انحدرت من كل ولد منهم ، فقد ذكر السفر أن أولاد سام هم عيلام وآشور و أرفكشاد ولود و آرام ، وأنه ولد لأرفكشاد شيلاش ولشيلاش عابر أبو العبرانيين .....إلخ [٢].

والحق أن هذا الفصل يعد في نظر مؤرخي التاريخ القديم أقدم وأهم وثيقة تاريخية تعرض لنشأة الأمم السامية و تذكر قائمة أنسابهم على حسب ما كان يعرفه العبرانيون عند تدوينهم العهد القديم وبخاصة القسم الأول منه وهو التوراة في منتصف القرن التاسع او الثامن قبل الميلاد ، وتتضمن هذه القائمة أسماء الشعوب الذين اتصل بهم اليهود في مستهل حياتهم السياسية أو على الأقل الشعوب الكبرى التي تنتمي إلى ذلك الجنس الإنساني العظيم [٣] .

ولكن إدراك العلاقات التاريخية بين هذه اللغات – السامية - لم ينتظم على أساس منهجي واضح وفي إطار نظرية شاملة إلا بعد تصنيف اللغات الهندية الأوروبي ، ففي القرن التاسع عشر نجح العلماء في تصنيف اللغات الهندية - الأوربية بمنهج علمي واضح ، وكان لهذا المنهج أثره المباشر عند الباحثين في اللغات السامية، فحاولوا التوسل بنفس المنهج لتصنيف اللغات السامية، وفي نفس الفترة زاد الاهتمام بالأبحاث التاريخية والأثرية واكتشفت آلاف النقوش في أنحاء مختلفة من الشرق، والواقع أن لغات الأرض لا يمكن أن تقسم على نحو ما جاء في الإصحاح العاشر من سفر التكوين هذا التقسيم

(١) د. محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ، ص١٣٢
(٢) على عبد الواحد وافي ، فقه اللغة ، ص ٦
(٣) حامد عبد القادر ، الأمم السامية مصادر تاريخها وحضارتها ، ص٤١

البسيط إلى ثلاث أسرات لغوية فقط، فهناك أسرات لغوية متعددة، وليس هناك ثمة دليل على قرابة هذه الأسرات الكثيرة ، لقد وجد شلوتسر مصطلح اللغات السامية مناسبًا، واستقر هذا المصطلح بعد ذلك على الرغم من اختلاف دلالة مصطلح اللغات السامية في البحث اللغوي عما جاء حول أبناء سام في سفر التكوين. فكاتب سفر التكوين كان يقسم الشعوب لاعتبارات سياسية، فمن صادقهم اليهود جعلهم من أبناء سام ومن عاداهم اليهود جعلهم من غير الساميين، ولذا ذكر سفر التكوين كنعان من غير أبناء سام في حين أن البحث الحديث يثبت أن الكنعانية فرع من أفرع اللغات السامية، وذكر التكوين أن عيلام من أبناء سام، وأثبت البحث الحديث أن اللغة العيلامية ليست من اللغات السامية [1] ، وعلى الرغم من أن الدارسين مازالوا يحتفظون بهذه التسمية – اللغات السامية - إلا أن العلم قد اثبت أنها ليست صحيحة تماما حيث يمكن تناول بعض الملاحظات على هذه التسمية نوجزها في الملاحظتين التاليتين :

- أن هذه التسمية أطلقت على سلسلة من الأنساب التي وردت في العهد القديم دون أن تضم بينها الكنعانيين في حين أن هناك روابط عنصرية ودموية وثيقة تربط الإسرائيليين بالكنعانيين ، ويرى العالم بروكلمان أن بني إسرائيل هم الذين ابعدوا الكنعانيين عن جدول الأنساب لأسباب سياسية ودينية .
- أن هذه التسمية تطلق على السلسلة الموجودة في العهد القديم بما فيها العيلاميين و الليديين مع أن هذه الشعوب لهجتها غير سامية ومع ذلك فإن هذه التسمية هي التي اجمع عليها العلماء .
- كذلك كشفت هذه النقوش الأثرية عن لغات قديمة بائدة منها العربية

(١) د. محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ، ص١٣٣

الجنوبية والأكادية والفينيقية وثبت في أثناء بحث هذه اللغات القديمة أنها تتشابه أيضا مع اللغات السامية المعروفة حتى ذلك الوقت. ويتضح اللقاء بين البحث في اللغات السامية المختلفة في عدة شخصيات فاللغوي الألماني جزينيوس Gesenius 1776-1842 ألف للعبرية نحوًا ومعجمًا، واهتم أيضا بالآرامية وكان جزينيوس أول من نجح في فك أكثر رموز خط المسند أي الخط الذي كتبت به النقوش اليمنية القديمة. وقد أفاد الباحثون في القرن التاسع عشر من معرفتهم باللغات العربية والعبرية والآرامية والحبشية في فهم اللغات المكتشفة في النقوش. ولم تقتصر الأبحاث على لغات الكتب الدينية ولغات النقوش القديمة، بل اهتم عدد من الأوروبيين ولأسباب علمية غالبًا - بدراسة عدد من اللهجات العربية الحديثة وبتدوين عدد من اللهجات الآرامية الحديثة واللغات السامية الحديثة في الحبشة وبكل هذه الأدوات أتيح لعلماء القرن التاسع عشر ما لم يتح لمن سبقهم؛ ففي منتصف القرن التاسع عشر كانت اللغات العربية والعبرية والآرامية والحبشية والعربية الجنوبية والفينيقية والأكادية معروفة للباحثين الأوربيين وكان المنهج المقارن الذي صقلته أبحاث اللغات الهندية الأوربية معروفا لهم أيضا، ومعنى هذا أن البحث المقارن في اللغات السامية بدأ بعد أن اتضحت لهم ملامح هذه اللغات وبعد أن اتضح لهم أيضا منهج علمي لتصنيفها ولمقارنتها [١].

- وقد لاحظ المستشرق نولدكه Noldeke في كتابه اللغات السامية أن سفر التكوين قد اعتمد في تقسيمه هذا على الروابط السياسية و الثقافية و الجغرافية أكثر من اعتماده على صلات القرابة و الروابط الشعبية والظواهر اللغوية و التاريخية ، ولذلك عد الليديين و

(١) د. محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ، ص١٣٤

العيلاميين من الساميين ، لشدة امتزاجهم بالآشوريين وخضوعهم لسلطانهم السياسي ، مع أنهما من الناحية الشعبية أجنيان عن الشعوب السامية وأجنبيان أحدهما عن الآخر ، فالعيلاميون يغلب على الظن أنهم من جنس إيراني ، والليديون غير معروفي الأصل ، ولكن المقطوع به أنهم غير ساميين وأنه لا يجمعهم بالعيلاميين أصل قريب ، وعلى ها الأساس أيضا اعتبر السفر الفينيقيين من الشعوب الحامية لتعدد الصلات السياسية و الثقافية التي كانت تربطهم بالشعوب الحامية المصرية و البربرية ، ولما كان بينهم وبين العبريين من عداء وحروب ولاختلافهم عنهم في النظم الاجتماعية وشئون السياسة و الدين ، مع أنهم من أخلص الساميين نسبا وأقربهم إلى العبريين أنفسهم [١] .

وهناك تقسيمات أخرى عمد إليها المستشرقون و الباحثون وهي ترجع في تكوينها إلى طبيعة الإنسان من حيث اللون والملامح الفطرية و الأماكن و البيئات ، وسواء أكان تقسيم الأجناس البشرية مبنيا على رؤية الكتاب المقدس أم على الاعتبارات الطبيعية ، فإن هناك جنسا بشريا متحدا في المنشأ و المكان و اللون وتجمع شعوبه خواص مشتركة وتقوم بينها روابط طبيعية واجتماعية وثيقة ، وهو ما يعرف بالجنس السامي [٢].

موطن اللغات السامية :

ويبدو أن اللغات السامية قبل تفرقها كانت ترجع إلى أصل واحد، وتشكل شبه وحدة شعبية، إلّا أن من العسير جدًّا تعيين ذاك الأصل وتحديد هذه الوحدة؛ لأن

(١) على عبد الواحد وافي ، فقه اللغة ، ص٦
(٢) محمد الهواري ، علم اللغة و السلالات ، ص٩٧

المهد الأول للساميين ما يزال غامضًا مجهولًا، و رغم أبحاث العلماء الكثيرة الواسعة الآفاق[١]، إلا أن العلماء قد اختلفوا في تحديد الموطن الأصلي للشعوب السامية وذهبوا فيه مذاهب شتى ، و أهم ما قيل بهذا الصدد يرجع إلى ستة آراء :

الرأي الأول : يذهب بعضهم إلى أن الساميين قد نشئوا ببلاد الحبشة ، ومنها نزحوا إلى القسم الجنوبي من بلاد العرب عن طريق باب المندب ، ومن هذا القسم انتشروا في مختلف أنحاء الجزيرة العربية .

الرأي الثاني : يذهب بعضهم إلى أن الموطن الأول لساميين كان في شمال أفريقيا ، ومنه نزحوا إلى أسيا عن طريق برزخ السويس .

الرأي الثالث : وبعضهم يذهب إلى أن المهد الأول للساميين كان بلاد أرمينية بالقرب من حدود كردستان ، وفريق من هؤلاء يرى أن هذا الموطن كان المهد الأول للشعبين السامي و الآري معا .

وهذه الآراء الثلاثة هي أضعف ما قيل بهذا الصدد ، إذ لم يكن أحد من أصحابه يقدم بين يدي مذهبه دليلا يعتد به [٢].

الرأي الرابع : يذهب الأستاذ جويدي Guide ومن تابعه إلى أن المهد الأصلي للأمم السامية كان جنوب العراق أي ارض بابل ، ويستدل على رأيه ببعض كلمات مشتركة في جميع اللغات السامية تتعلق بالعمران و الحيوان و النبات ، فقد ظهر له من طبيعة هذه الكلمات و أصواتها ومدلولاتها ومن شواهد أخرى كثيرة أنها نشأت بجنوب العراق ، ويتخذ من اشتراكها في جميع اللغات السامية دليلا على أن هذه المنطقة كانت المهد الأول للساميين ،

---

(١) د. صبحي إبراهيم الصالح: دراسات في فقه اللغة ،ص٤٨

(٢) على عبد الواحد وافي ، فقه اللغة ، ص٩

وكذلك ما توصلت إليه البحوث من أن ارض بابل هي المهد الأصلي للحضارات السامية ، وكذلك لما أشارت إليه التوراة من أن ارض بابل هي أقدم مكان استوطنه بنو نوح .

الرأي الخامس : ويرى بعضهم أن الموطن الأصلي للساميين كان بلاد كنعان ، ويستدل على ذلك بأن الساميين كانوا منتشرين في البلاد السورية القديمة في أزمنة سحيقة في القدم ، وان مدنيتهم في هذه البلاد لا تعرف نشأتها ولا تعرف قبلها مدنية أخرى ، على حين أن بلاد العراق مثلا ، التي يرى أصحاب المذهب الرابع أنها المهد الأول للساميين ، كان يسكنها من قبلهم الشعب السومري ، وكانت له فيها مدنية زاهرة قبل مدنيتهم ، وقد نزحوا إليها في عصر كانت فيه بلاد سوريا القديمة آهلة بأمم سامية ذات مدنية عريقة .

الرأي السادس : أما العدد الأكبر من قدامى العلماء فيميلون إلى أن المهد الأول للساميين كان القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية (بلاد الحجاز ونجد و اليمن) ، ومن أشهر العلماء الذين يؤيدون هذا الرأي رينان الفرنسي و بروكلمان الألماني ، وهذا هو اصح الآراء وأقواها وأكثرها اتفاقا مع آثار هذه الأمم وحقائق التاريخ ، ويرجع الأخذ به إلى أدلة كثيرة :

- أن الهجرة في هذه البلاد كانت تتجه دائما في العصور السابقة للتاريخ وفي العصور التاريخية من القسم الجنوبي الغربي (بلاد نجد و الحجاز و اليمن) إلى الشمال و الشرق (سوريا و العراق) فمن هذا القسم نزح الساميون إلى جنوب العراق وغزو بلاد السومريين وانتصروا عليهم وانشئوا بهذه المنطقة مملكة عظيمة (مملكة بابل) .

وكذلك من هذا القسم نزح الساميون إلى الشمال ، فتكونت من سلالاتهم الشعوب التي عرفت باسم الكنعانيين .

وكذلك أن معظم الباحثين يقرون أن أول هجرة سامية إلى بلاد الحبشة كانت من بلاد اليمن .

- يرى البعض أن منطقة شبه الجزيرة العربية كانت كثيفة السكان وكانت خصبة الأرض وموفورة الخيرات و بها ثلاثة انهار ولكن بمرور الوقت وعلى اثر بعض الظواهر الجوية وانحسار جبال الثلج الكبيرة إلى الشمال فقدت هده المنطقة خصوبتها وجفت أنهارها ونزح عنها معظم سكانها إلى مناطق أخرى ، وغيرها من الأدلة الكثيرة .

أقدم لغة سامية

كما اختلف العلماء في الموطن الأصلي للساميين ، اختلفوا أيضا في اللغة الأولى التي كان يتكلم بها الشعب السامي ، فكان أحبار اليهود في العصور القديمة يعتقدون أن العبرية هي أقدم لغة إنسانية ، وانتشر هذا الرأي عند كثير من الباحثين ، حتى أن بعض العرب أنفسهم قد ذهب إلى هذا الرأي .

وقد ذهب بعضهم إلى أن الآشورية البابلية هي أقدم اللغات السامية ، ولم يقدم أصحاب هذا الرأي دليلا يعتد به ، هذا إلى أن ما وصل إلينا من الآشورية لا يعدو كونه ألفاظا قليلة يتعذر على ضوئها الحكم على مبلغ أقدميه هذه اللغة ، وفضلا عن هذا كله أن هذه الألفاظ القليلة ليست سامية خالصة ، فقد اختلطت فيها السامية القديمة ببعض المفردات السومرية التي اقتبست من لغات السكان الأصليين لهذه البلاد [1].

وقد اجمع العلماء الباحثون على أن أقدم اللغات السامية هي اللغة العربية القديمة و البابلية و الكنعانية ، وليست هناك وثائق تدل على ان واحدة من هذه اللغات الثلاث تضرب في القدم إلى حد له بدء ، وعلى ذلك فإنه من المحتمل أن تكون كل واحدة من هذه اللغات صالا للاثنتين الأخريين ، ومن المحتمل ان تكون الثلاث قد نشأة من أم أقدم مجهولة عفت ولم يبقى لها اثر مستقل تعرف به ، وإذا صح أن إحدى هذه اللغات هي الأولى وان الاثنتين الأخريين

(١)على عبد الواحد وافي ، فقه اللغة ، ص١٢

نشأتا منها ، فأي اللغات هي الأولى ؟ وإذا كانت اللغة الأولى مجهولة فأي لغة من لغات هذه الأمم السامية أقرب صلة و أقرب شبها باللغة السامية الأم ؟

وقد ذهبت طائفة من المحدثين وعلى رأسهم أولسهوزن Olshausen في مقدمة كتابه عن العبرية إلى أن اللغة العربية هي اقرب اللغات السامية إلى اللغة السامية الأولى .

ذلك أن العربية قد احتفظت بكثير من الأصول السامية القديمة في مفرداتها وقواعدها ، وانه لا تكاد تعدلها أية لغة سامية أخرى ، ويرجع السبب في ذلك إلى نشأتها في أقدم موطن للساميين وبقائها في نقطة منعزلة ، فقلت بذلك فرص احتكاكها باللغات الأخرى .

ويرى كذلك المستشرق دي جوج أن الجو البديع لبلاد العرب الداخلية و الجمال الجسمي يدلان على حقيقة لا نزاع فيها ، وهي أن اللغة العربية تقرب كثيرا من اللغة السامية الأولى وتتصل بها أكثر من اللغات السامية الأخرى .

الخصائص المشتركة للغات السامية

1-الأصوات

اهتمت كتب النحو المقارن في اللغات السامية -وكلها كتب أوربية ببيان الخصائص التي تتسم بها اللغات السامية. ومن الطبيعي أن تتناول هذه الدراسات الجوانب الصوتية- والصرفية والنحوية والمعجمية،وهناك أصوات لا تكاد تخلو منها أية لغة، مثل :الأصوات الشفوية كالباء والميم، والأصوات الأسنانية :كالتاء والدال، إلى جانب أصوات أخرى توجد في لغات ولا توجد في لغات أخرى [1].

وقد لاحظ الباحثون الأوربيون أن اللغات السامية تضم مجموعة من أصوات لا توجد في اللغات الأوروبية، ولذا أبرزوا وجود هذه الأصوات في حديثهم

(١) محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ، ص١٤١

عن الخصائص العامة للغات السامية، والمقصود بهذه الأصوات مجموعة أصوات الحلق (الغين والحاء والعين والخاء والهاء والهمزة) ، وهي تلك الأصوات التي تخرج من الحلق ، ومجموعة أصوات الإطباق (القاف والصاد والطاء) وهي أصوات تشترك في سمة واحدة تتلخص في اتخاذ اللسان شكلا مقعرًا منطبقًا على الحنك الأعلى ويرجع إلى الوراء قليلا، والواقع أن هاتين المجموعتين موجودتان بدرجات متفاوتة في اللغات السامية المختلفة، فليست كل لغة سامية تضم كل الأصوات الحلقية والمطبقة الموجودة في العربية، فالعربية مثلا تضم عددًا أكثر من أصوات الحلق والإطباق بالمقارنة مع باقي اللغات السامية، وليست هناك لغة سامية واحدة تخلو من عدد من أصوات الحلق والإطباق، والمقصود هنا بوجود أصوات الحلق وأصوات الإطباق كونها في اللغات السامية تكون وحدات صوتية متميزة، وتظهر هذه الحقيقة إذا قارنا ولو بصورة شكلية مباشرة أية لغة سامية، ولتكن العربية مثلا بأية لغة أوروبية. فنلاحظ عدم وجود هذه الأصوات الحلقية والمطبقة في اللغات الأوروبية كرموز صوتية متميزة ، ويميل أكثر الباحثين إلى اعتبار أصوات الحلق في اللغات السامية موروثة من اللغة السامية الأولى، واللغة العربية تعد بصفة عامة أصدق تعبيرًا عن اللغة السامية الأولى، وتضم كل من العربية الشمالية والعربية الجنوبية ستة أصوات حلقية وتضم اللغات السامية الأخرى أصواتًا حلقية بعدد أقل. فاللغة السامية الوحيدة التي تضم كل أصوات الحلق المعروفة في العربية الشمالية هي اللغة العربية الجنوبية القديمة أي لغة النقوش اليمنية، ففي العربية الشمالية والعربية الجنوبية نجد نفس أصوات الحلق كاملة غير منقوصة، أما في المهرية، وهي امتداد حديث للعربية الجنوبية القديمة، فإنا نجد هذه الأصوات عدا صوتًا واحدًا لأن المهرية تخلو من العين كصوت متميز. ويقل عدد أصوات الحلق في اللغات السامية التي عرفتها منطقة الشام قبل الإسلام، فأصبحت الحاء في العبرية مثلا تمثل الحاء

العربية والخاء العربية معًا، وبذلك أصبح الصوتان المتميزان الحاء والخاء في اللغة السامية الأولى صوتًا واحدًا هو الحاء في اللغة العبرية، وهكذا قلت أصوات الحلق في اللغات السامية في الشام قبل الإسلام، وهناك لغة سامية فقدت أكثر أصوات الحلق وهي اللغة الأكدية في العراق القديم، ولذا لم يبق في اللغة الأكدية من أصوات الحلق إلا صوتان حلقيان، هما (الهمزة والخاء) فقد حدثت في هذه اللغات تغيرات قللت عدد أصوات الحلق، أما اللغة العربية فقد احتفظت بالمجموعة كاملة، ولذا تعد العربية من هذا الجانب امتدادًا مباشرًا للغة السامية الأم.

أما أصوات الإطباق وهي في العربية :القاف، والصاد، والطاء والضاد، والظاء، فقد قل عددها أيضا في بعض اللغات السامية الأخرى، وتوجد هذه المجموعة كاملة غير منقوصة في اللغة العربية الجنوبية القديمة وتضم كل اللغات السامية الأخرى عددا أقل من أصوات الإطباق، وأكثر هذه الأصوات ثباتًا الصاد والقاف والطاء، فهذه الأصوات الثلاثة موجودة في كل اللغات السامية القديمة، ولكن الظاء والضاد قد تعرضتا للتغير الصوتي في عدد من اللغات السامية، فكل ضاد وكل ظاء وكل صاد عربية يقابلها مثلا صاد في العبرية، وبذلك حل صوت واحد في العبرية محل ثلاثة أصوات في العربية، ويلاحظ نفس الشيء في الأكدية فالصاد الأكدية تقابل ثلاثة أصوات عربية هي الصاد والضاد والظاء، أما اللغة الآرامية فقد كان موقفها من الضاد جديرًا بالملاحظة، فقد تحولت الضاد الموروثة عن اللغة السامية الأولى في اللغة الآرامية مرة إلى قاف ثم إلى عين، ويعد هذا التحول من أصعب التحولات الصوتية تفسيرًا، ولكن مقارنة أصوات الإطباق الموجودة في اللغات السامية المختلفة أثبت أن أصوات الإطباق الموجودة في العربية تعد امتدادًا مباشرًا لأصوات الإطباق الموجودة في اللغة السامية الأولى، ويطلق على تلك التحولات القياسية التي طرأت على بعض الأصوات في اللغات

الســامية مصــطلح القــوانين الصــوتية، والمقصــود بهــذا المصــطلح أن هــذه التغيرات قياسية مطردة تسري على كل الكلمات دون استثناء.

2- بناء الكلمة

يقوم بنـاء الكلمـة فـي اللغـات السـامية علـى أسـاس الصـوامت ويـرتبط معنـى المـادة اللغويـة فـي اللغـات السـامية بمجمـوع الصـوامت التـي تكـون كـل مـادة، وأكثر الكلمـات فـي اللغـات السـامية تتكـون مـن مـادة ثلاثيـة، وقـد عبـر النحـاة العرب عن هذه الصوامت بالفاء والعين واللام، وتقوم فكرة الميزان الصـرفي على أساس التمييز بين الحروف الأصول الممثلـة فـي الميـزان الصـرفي بالفـاء والعـين والـلام وبـين مـا يطـرأ علـى الكلمـة المفـردة مـن تغييـر بالإضـافة أو الحذف، ويرتبط معنى الكلمات الكثيرة المشتقة من المـادة اللغويـة الواحـدة فـي اللغـات السـامية بالصـوامت فالكلمـات :كَتَـبَ، كُتِـبَ، كتـاب، مكتـب، مكتبـة، مكتبات، تكون أسرة واحدة تقوم وحدتها على أساس وجود الأصوات الصـامتة الثلاثـة، الكـاف والتـاء والبـاء بهـذا الترتيـب، ويـؤدي وجـود هـذه الأصـوات الصامتة الثلاثة إلى تحديد المعنـى الأساسـي الـذي تـدور حولـه معـاني الكلمـات المختلفة المكونة من تتابع هذه الصوامت. ويتحـدد المعنـى الخـاص لكـل كلمـة مـن هذه الكلمـات المشـتركة فـي الحـروف الأصـول بمعـايير أخرى،فالحركـات المختلفـة مـن ضـم وفتح وكسـر تشـكل الصـيغ المختلفـة داخـل الإطـار الـدلالي الذي حددته الصوامت وبذلك تختلف كلمـة :كَتَـبَ عن كلمـة: كُتِـبَ رغـم اتحـاد الحروف الأصول لأن الأولى بوزن: فَعَلَ المبني للمعلوم والثانيـة: فُعِلَ المبنـي للمجهول وتتكون صيغ صرفية كثيرة بإضافة سوابق مثل الميم، نجد هذا مثلا في الكلمات : مكتب ، مكتبة، وتتكون صيغ صـرفية أخرى عن طريق إلحـاق نهاية تؤدي معنى محددًا، وذلك مثل نهاية المذكر السـالم وجمـع المؤنـث السـالم

بالنسبة للأسماء، وهكذا يقوم بناء الكلمة في اللغات السامية على أساسين متكاملين :المادة اللغوية، والوزن [1].

وتصنف الأسماء في اللغات السامية وفق معايير ثابتة يمكن تطبيقها على كل اللغات السامية لأنها مستخرجة منها. هذه المعايير ليست انعكاسًا لمنطق عقلي عام ليس له وجود. ولكن واقع اللغات السامية جعل من الممكن تحديد معايير تغيرات الصيغ في الأسماء فيها وفق ثلاثة جوانب، هي :العدد number والحالة الإعرابية case والجنس gender .

والمقصود هنا بالعدد كل ما يتعلق بالإفراد والتثنية والجمع، فاللغات السامية تقسم الأسماء وفق هذا التقسيم الثلاثي، فكل اسم في اللغات السامية لا بد وأن يعبر عن مفرد أو عن مثنى أو عن جمع، وليست هذه دائمًا حال اللغات الأخرى، فاللغات الأوربية الحديثة مثلا تقسم الأسماء من هذا الجانب تقسيمًا ثنائيًّا. فهناك صيغة للمفرد تسمى Singular وصيغة لغير المفرد تسمى plural وبهذا تختلف اللغات السامية عن اللغات الأوربية المعاصرة، فالاسم الدال على اثنين او اثنتين له في اللغات السامية صيغة متميزة في صيغة المثنى القياسية في العربية. ويبدو أن صيغة المثنى كانت هكذا في اللغة السامية الأولى، ولكن استخدام هذه الصيغة قل في بعض اللغات السامية مثل العبرية، فلم تعد صيغة المثنى تستخدم فيها إلا في الأشياء التي توجد في الواقع الخارجي مثنى مثل :اليدين والرجلين.

أما الحالة الإعرابية للأسماء في اللغات السامية فذات تنوع ثلاثي، وقد أطلق النحاة العرب على هذه الحالات الإعرابية مصطلحات الرفع والنصب والجر، ويعد الإعراب على هذا النحو الثلاثي في العربية امتدادًا للغة السامية الأولى وقد احتفظت اللغة الأكدية بظاهرة الإعراب على هذا النحو أيضا فالخط الأكدي يثبت الحركات دائمًا، ولذا فقد أمكن التعرف من رموزه المدونة على

(١) محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ، ص١٤٤

حقيقة أن الاسم في الأكادية كان يتخذ ثلاثة أشكال، ينتهي أحدها بالضمة والثاني بالفتحة والثالث بالكسرة، وتطابق هذه الأشكال الثلاثة للاسم الأكدي الأشكال المقابلة في العربية رفعًا ونصبًا وجرًّا، ولم تحتفظ أكثر اللغات السامية بالنهايات الإعرابية وفقدت اللهجات العربية التمييز بين الحالات الإعرابية للاسم أيضًا، ولكن الباحثين يرون الإعراب على نحو ما تعرفه العربية وما عرفته الأكادية ظاهرة أصيلة في اللغة السامية الأولى. ولا يعكس التنوع الإعرابي على هذا النحو المعروف في العربية منطقًا عقليًّا عامًا يسري على كل اللغات، فهناك لغات كثيرة لا تصنف الأسماء أي تصنيف وفق هذا المعيار، وتصنف اللغات السامية الأسماء أيضا من ناحية الجنس إلى ما يطلق عليه المذكر وما يطلق عليه المؤنث، ولا علاقة هنا بين الواقع الخارجي والصيغ اللغوية، وإنما تعارف النحويون على وصف صيغة الاسم بأنها من المذكر أو المؤنث على سبيل الاصطلاح والتقريب فقط، وتتضح نسبية هذا التقسيم بالنظر في الأشياء التي ليس لها بحكم طبيعتها أي نصيب من التذكير والتأنيث مثل :الكتاب والشمس والمنضدة، ولكن كل اسم في اللغة العربية أو في اللغات السامية الأخرى ينبغي أن يصنف من ناحية الجنس، وهنا تصبح بعض هذه الأشياء من المذكر، وبعضها من المؤنث لاعتبارات شكلية أحيانًا، وربما يعكس بعضها رواسب من فكر إنساني قديم، فكل الأسماء الدالة على جماد والتي تنتهي بتاء التأنيث تصنف في العربية باعتبارها مؤنثة.

وتصنف اللغات السامية الفعل فيها إلى عدة صيغ، ويطلق على هذه الصيغ الموجودة في العربية :المضارع والماضي والأمر،وهكذا حال الفعل أيضا في اللغات السامية القديمة في الشام والحبشة، ولكن اللغة الأكدية طورت لنفسها نظاما مخالفا إلى حد ما، ففيها نجد صيغا أكثر، وأغلب الظن أن نظام الأفعال في اللغات السامية المختلفة لا يعكس ظاهرة موروثة على نحو مباشر من

اللغة السامية الأولى، فالاختلاف كبير بين نظام الفعل الأكدي ونظام الفعل في اللغات السامية الأخرى. وليس من الصحيح أن نتصور أن قدرة اللغة العربية على التعبير عن الزمن غير متنوعة لعدم تنوع صيغ الأفعال فيها، فالمضارع لا يعبر بالضرورة عن الحال أو الاستقبال، بل قد يعبر أيضا بالصيغ المركبة عن الحديث الذي استمر في الماضي : كان يكتب، وبالمثل فإن الماضي لا يعبر بالضرورة عن الزمن الماضي، فيمكن أن يستخدم الفعل الماضي في اللغة العربية للتعبير عن الحاضر أو المستقبل، فجملة الشرط يمكن أن تتكون بفعلين ماضيين دون أية دلالة عن الماضي :إن كتب كتبت، فالصيغتان الفعليتان الماضي والمضارع في العربية تعبران عن أشياء كثيرة، ويتحدد معنى الصيغة المستخدمة وفق بنية الجملة .

٣- بناء الجملة

أما من ناحية بناء الجملة فالاختلاف كبير بين اللغات السامية في عصورها القديمة واللغات السامية في العصور التالية، ويبدو أن اللغة السامية الأولى لم تكن ذات جمل طويلة، بل كانت تسودها ظاهرة التوازي Parataxe أي أن الجمل كانت قصيرة وترتبط الجملة بالأخرى عن طريق الواو، فهذه الجمل القصيرة تتوازى الواحدة بجانب الأخرى، ونجد في اللغة العبرية القديمة ظاهرة التوازي ونجدها أيضا في اللغة العربية في نصوصها القديمة إلى حد كبير، فالجمل قصيرة، والواو تربط بين جملة قصيرة وأخرى، ولكننا نلاحظ بمضي الوقت أن اللغات السامية أخذت تكون شيئًا فشيئًا جملا طويلة معقدة، فالجملة العربية تعقدت مع تطور الفكر ورقيه تعقيدًا كبيرًا، حتى إننا نجد صيغ الاستثناء والقصر في العربية على نحو لا نجده في اللغات السامية التي دونت قبل العربية، فكلما تقدم الزمن تعقدت الجملة ولم تعد على بساطتها الأولى ، ومن الممكن أن تلاحظ إلى اليوم سيادة ظاهرة التوازي في اللهجات العربية ولا سيما عند المتحدثين الذين لم يتأثروا بالفصحى كثيرًا، ونلاحظ

نفس الظاهرة في اللغة الأمهرية، فالجملة فيها قصيرة تتكون من بضع كلمات لا تزيد، وسرعان ما تنتهي الجملة وتبدأ أخرى، فالكلام العادي يتكون من وحدات صغيرة متراصة الواحدة بجانب الأخرى، وهذا شأن اللغات التي لم تدخل بعد إلى مرحلة التعبير عن الفكر المعقد المتنوع، فما أشبه بساطة الجملة الأمهرية بالجملة التي كتبت في النقوش العربية القديمة، وما أبعد هذه الجمل البسيطة عما نقرأه في النثر العربي الحديث، فالجملة تتعقد كلما دخلت إلى مجال التعبير عن الأفكار الكثيرة المتميزة والمتنوعة.، ولم تكن الجملة السامية الأولى تعرف مثل هذا التركيب، فأقدم النصوص السامية تسودها الجمل الصغيرة المتراصة، وهذه الجمل الصغيرة المتوازية أشبه بالاستخدام اللغوي عند الطفل، فالطفل يستخدم أيضا في حديثه العادي جملا صغيرة كثيرة، وكلما ارتقى فكره تعقدت جمله شيئا فشيئا(١)

٤- الألفاظ الأساسية

هناك ألفاظ أساسية تشترك فيها اللغات السامية، وليس المقصود بذلك أن هذه الألفاظ موجودة بنفس دلالتها في كل اللغات السامية، فكثيرا ما تتغير الدلالات، ولكن المقصود أن هذه الألفاظ ترجع إلى أصل اشتقاقي واحد في اللغة السامية الأولى ، فكلمة " هلك " في اللغة العربية يقابلها في اللغة العبرية الفعل" הלך "، ومعنى هذا أن كلا الفعلين يرجع إلى المادة السامية المشتركة " هـ ل ك "ولكن ثمة خلافا بين معنى" هلك "في العربية و"הלך "في العبرية، إذ تدل" هلك "في العربية على الذهاب إلى العالم الآخر ولكن الفعل العبري" הלך " يدل على مطلق الذهاب ومنه الذهاب إلى المدرسة والذهاب إلى العمل.....إلخ ، فالمقارنات الاشتقاقية بين الألفاظ في اللغات السامية لا تعني بالضرورة أن معنى الكلمتين أو الكلمات موضع المقارنة هو نفس المعنى بل تعني أن الكلمتين أو الكلمات المقصودة من أصل اشتقاقي

(١) محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ، ص١٤٩

واحد، فكلمة" لحم "تدل في العربية على معنى يخالف كلمة" לחם " في العبرية، لأن الكلمة العبرية تدل على الخبز، وتعد الكلمتان من أصل واحد باعتبار الاشتقاق رغم اختلاف المعنى وإذا ما اختلف معنى الكلمتين المشتقتين من أصل واحد كان السؤال عن الدلالة الأقدم موضوع بحث، وهذا البحث ممكن بربط هذه الدلالات المتفرعة، فيمكن أن تكون كلمة" لحم "قد أدت في اللغة السامية الأولى معنى الطعام اليابس، أي غير السائل فيكون معنى هذه الكلمة في العبرية ضربا من تخصيص الدلالة، ويكون المعنى الموجود للكلمة العربية المقابلة ضربا آخر من تخصيص الدلالة، وهكذا ينطلق علم اللغة المقارن في مجال المفردات من الأصول الاشتقاقية ثم ينظر بعد ذلك في الدلالة ومدى اتفاقها وتغيرها. (١)

وقد صنف كثير من الباحثين الألفاظ المشتركة في كل اللغات السامية، وتضم هذه الألفاظ المشتركة عدة كلمات تدخل في مجالات :الأسرة، وجسم الإنسان وتسمية الحيوان والنبات، والأعداد، وتضم أيضا بعض الأفعال،و تضم كل اللغات السامية عدة كلمات متشابهة في كل هذه اللغات، منها الألفاظ الدالة على العلاقات الأساسية القديمة في الأسرة، وهذه الألفاظ مثل :أب، أم، أخ، أخت، وتوجد هذه الكلمات في اللغات السامية القديمة مما يدل على كونها موروثة من اللغة السامية الأولى، ويلاحظ مثلا في هذه المجموعة المشتركة أن العم والخال لم يتخذا مكانهما ضمن الألفاظ المشتركة في اللغات السامية الخاصة بالأسرة، غير أن كلمة" عم " توجد في أكثر اللغات السامية بدلالات أخرى، فكلمة" עם " في العبرية تعني الشعب، وقد وُصِفَ الإله الكبير في اليمن القديم بأنه " عم " وكأن هذه الكلمة دلت في اللغة السامية على الأب الكبير، وتغيرت دلالاتها بعد ذلك في اللغات السامية. وهناك كلمات مشتركة في كل اللغات السامية تدل على أجزاء من جسم الإنسان، وليس من المتوقع

(١) محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ، ص١٥٠

أن نجد ألفاظا تعبر عن تفصيلات تشريحية كثيرة في جسم الإنسان، بل هي ألفاظ عامة، فالكلمات :عين، رجل، يد، شعر، أذن، رأس، مشتركة في كل اللغات السامية، أما أسماء الحيوانات في اللغات السامية فتشترك في كلمات معدودة منها مثلا : ليث وكلب، وعجل، وقد لوحظ أن كثيرًا من اللغات السامية تتخذ للحيوان الذكر اسما وللحيوان الأنثى اسما آخر لا يمت للأول بصلة،ومثال ذلك في العربية :حمار وأتان، أسد ولبؤة، وهناك عدة أسماء للنباتات تشترك فيها اللغات السامية منها :كمون، سنبلة، قمح، ثوم، وتشترك اللغات السامية أيضا في الأعداد الأساسية، وتتفق اللغات السامية كلها اتفاقا شبه كامل في الأعداد من ٢ إلى١٠ ولكن الكلمة الخاصة بالعدد واحد تختلف في الأكدية والأمهرية عن باقي اللغات السامية.

أوجه الخلاف بين اللغات السامية :

ومع هذا التشابه والتقارب بين هذه المجموعة من اللغات ، يوجد بينها اختلافات كثيرة تميز كل لغة عن غيرها في القواعد و الأصوات و المفردات ، وأهم هذه الخلافات ما يلي :

١- الاختلاف في أداة التعريف : فهي في العربية " ال" في أول الكلمة ، وفي العبرية وبعض اللهجات العربية البائدة حرف "ه" في أول الكلمة ، وفي السبئية حرف "ن" في آخر الكلمة ، وفي الآرامية حرف "آ" في نهاية الكلمة ، ولا يوجد في الآشورية - البابلية ولا الحبشية أداة للتعريف مطلقاً.

٢- الاختلاف في علامة الجمع : فهي في العبرية حرفا "يم" للمذكر و" واو وتاء" للمؤنث ، وفي الآرامية حرفا "ين" ، وفي العربية يستعمل للدلالة على جمع المذكر السالم "واو و نون "،أو "ياء و نون" في آخر الكلمة ،و" ألف و تاء " في آخر الكلمة للدلالة على جمع المؤنث السالم.

٣- الاختلاف في الأصوات العربية "ذ غ ظ ض" لا أثر لها في العبرية ، والصوتان العبريان " پ p " و" ڤ v" لا وجود لهما في العربية ولا وجود

للأصوات " ع ق س" في البابلية ، وأغلب ما يأتي في العبرية بالسين يأتي في العربية والحبشية بالشين والعكس بالعكس .

٤- أما الاختلاف في المفردات فيبدو حتى في بعض الأسماء التي كانت مدلولاتها شائعة عند جميع الشعوب السامية " صبي ،شيخ ، جبل ،خيمة " [١]

الدراسات المقارنة للغات السامية

انقسمت دراسة اللغات السامية إلى وجهتين : الأولى دراسة عامة في تاريخ هذه اللغات ونشأتها وحياتها وتطورها ، والثانية دراسة خاصة في أصواتها وقواعدها ومفرداتها ومقارنتها من هذه النواحي بعضها ببعض ، وقد كتبت في كلتا الوجهتين عدد كبير من أعلام الباحثين ، فمن أشهرهم من كتب في الوجهة الأولى العلامة الفرنسي رينان Renan ، فقد ألف في منتصف القرن التاسع عشر في التاريخ العام للغات السامية كتابا جليلا ، على الرغم ما فيه من تحامل على الساميين من آراء دلت البحوث و الحديثة على خطئها ، والعلامة الألماني نولدكه Noldeke الذي تدارك في كتابه كثيرا من الأخطاء التي وقع فيها رينان ، ومن أشهر من كتب في الوجهة الثانية الأساتذة رايت Wright و زيمير Zimmer ، ومن أشهر من كتب في الوجهتين معا العلامة الألماني بروكلمان Brockelman [٢] .

(١) على عبد الواحد وافي ، فقه اللغة ، ص ١٨
(٢) على عبد الواحد وافي ، فقه اللغة ، ص ٨

تقسيم اللغات السامية :

منذ أن استطاع العلماء فك رموز الكتابة البابلية و الآشورية واعتبارهما معا يشكلان لغة واحدة هي اللغة الأكدية ، فان التقسيم السائد للغات السامية تمثل في المجموعات اللغوية التالية :

١- الأكدية ٢- الكنعانية ٣- الآرامية

٤- العربية الشمالية ٥- العربية الجنوبية – الحبشية

وإذا أردنا أن نصف شجرة اللغات السامية لنرى كيف تفرعت عنها لغتنا العربية، وكيف امتازت عن أخواتها بخصائص مستقلة، وجدنا تلك اللغات في أصل نشأتها تنقسم إلى شرقية وغربية، فالشرقية هي اللغات البابلية - الآشورية، أو الأكادية، كمال يسميها المحدثون من فقهاء اللغة، نسبة إلى بلاد " أكاد Akkad " وكان الأقدمون يسمونها: " الإسفينة أو المسمارية " لأن الناطقين بها أخذوا الخط المسماري ذا الزوايا عن الشعب السومري، حين تدفقوا إلى منطقته في القسم الجنوبي من بلاد العراق، ويظن أن المتدفقين على تلك المنطقة كانوا من القبائل العربية التي توالت هجراتها منذ الألف الثالث قبل الميلاد على وجه التقريب [١].

والغربية: تنقسم هي الأخرى إلى شعبتين: شمالية وجنوبية، وفي الشمالية: الكنعانية والآرامية.

أما الكنعانية: فهي لغة القبائل العربية التي نزحت على الأرجح من القسم الجنوبي الغربي من بلاد العرب، واستوطنت فلسطين وسورية وبعض جزر

---

(١) د. صبحي إبراهيم الصالح: دراسات في فقه اللغة ،ص٤٩

البحر الأبيض المتوسط، وكان ذلك حوالي الألف الثاني قبل الميلاد ، وهي تشمل اللهجات التالية:

١- الأوجاريتية : وهي أقدم لغات المجموعة الكنعانية وأشهرها، اكتشفت نقوشها سنة ١٩٢٦ في رأس شمرا على الساحل السوري للبحر المتوسط، ويرتدّ تاريخها إلى القرن ١٤ ق. م. وعن هذه الأوجاريتية أخذ العالم الكتابة الأبجدية [١].

٢- الكنعانية القديمة : وقد جاءنا بعض مفرداتها في رسائل تل العمارنة " عاصمة مصر في عهد إخناتون " ، كانت مدونة باللغة الأكادية، وقد تبودلت بين ولاة مصر على فلسطين، وبين فراعنة ذلك العهد " أمنوفيس الثالث، وأمنوفيس الرابع، وإخناتون " في أواخر القرن الخامس عشر، والنصف الأول من القرن الرابع عشر "١٤١١- ١٣٥٨ " ق. م.

٣- المؤابية : وهي لهجة المؤابيين الذين كانوا من نسل لوط بن أخي إبراهيم الخليل، كما جاء في العهد القديم، وقد عثر على نقشٍ مدوَّن بهذه اللهجة، هو نقش ملك المؤابيين ميشع Mesa، وفيه يصف انتصاره على ملك إسرائيل، وتاريخ هذا النقش لا يجاوز سنة ٩٠٠ ق. م.

٤- الفينيقية : وقد وصلت إلينا عن طريق بعض النقوش، وقطع النقود التي عثر عليها في أقدام المواطن الفينيقية " صور، صيدا، جبيل Byblos "، ولقد رحلت اللهجة الفينيقية مع أصحابها خارج الوطن الأصلي حتى استقرَّ في حوض البحر المتوسط، ولا سيما في قرطاجنة، وكانت اللهجة الشائعة في قرطاجنة هي البونية punique، وهي متفرعة عن الفينيقية،

---

(١) د. صبحي إبراهيم الصالح: دراسات في فقه اللغة ،ص٥٠

غير أن البونية قُدِّرَ لها أن تبقى حتى القرن الخامس بعد الميلاد، فعاشت عمرًا أطول من عمر أمها الفينيقية الأصلية، وأقدم النقوش الفينيقية إنما يرجع تاريخه إلى القرنين التاسع والعاشر ق. م [1].

٥- العبرية: وهي أهم اللهجات الكنعانية على الإطلاق، وقد وصلت إلينا عن طريق أسفار العهد القديم، وفي ثنايا بعض النقوش واللوحات الصخرية، وأحيانًا عن طريق تلاوة اليهود لآيات التوراة وبعض الأوراد، ونحن نقصد بالعبرية طبعًا عبرية العهد القديم، وهي تختلف اختلافًا عظيمًا عن العبرية الحديثة التي أصبحت لغة الآداب اليهودية المستحدثة، هذه هي لهجات الكنعانية : الأوجاريتية، والكنعانية القديمة، المؤابية، والفينيقية، والعبرية.

وأما الآرامية: فيؤخذ من بعض الآثار الآشورية - البابلية، أن قبائلها قد هاجرت من الجزيرة أيضًا إلى أرض بابل وآشور، فيما بين القرنين الرابع عشر والثاني عشر قبل الميلاد، وقد كانت الآرامية من العنفوان والقوة بحيث استطاعت أن تفرض نفسها على جميع أخواته الشرقية والشمالية، حتى أضحت لغة التخاطب السائدة في الشرق الأدنى. وفي المرحلة الزمنية المحصورة بين ٣٠٠ق. م و٦٥٠ بعد الميلاد، كانت هذه اللغة الآرامية قد بلغت ذروة مجدها في جميع بلاد العراق من جهة، وفي سورية وفلسطين وما يجاروهما من جهة أخرى، ويقدر بعض فقهاء اللغة مساحة البلاد الناطقة بتلك اللغة في المرحلة المذكورة زهاء٦٠٠ ألف كيلومتر مربع، ولم يكن بد من أن تتشعب هذه اللغة إلى مجموعة من اللهجات، فشملت المجموعة الشرقية منها

---

(١) د. صبحي إبراهيم الصالح: دراسات في فقه اللغة ،ص٥١

اللهجات السائدة في بلاد العراق، وشملت المجموعة الغربية منها اللهجات الباقية المستخدمة في سورية وفلسطين وشبه جزيرة سيناء [1].

العربية الجنوبية والعربية الشمالية:

لاحظنا حتى الآن أن الشعبة الأساسية الشمالية في اللغات السامية الغربية اشتملت على الكنعانية بجميع لهجاتها، وعلى الآرامية بجميع لهجاتها أيضًا، وقد آن لنا أن نعرف أن الشعبة الأساسية الأخرى في اللغات السامية الغربية - وهي الجنوبية- هي التي تشتمل على اللغتين العربيتين العظيمتين اللتين تعنينا دراستهما بوجه خاص: وهما العربية الجنوبية والعربية الشمالية، والعلماء يطلقون على العربية الجنوبية اسم: " اليمنية القديمة "، أو " القحطانية "، ويلقبها بعضهم أحيانًا " السبئية " تسميةً لها بإحدى لهجاتها الشهيرة التي تغلب عليها جميعًا في صراعها معها، وإن كثيرًا من النقوش المدونة على التماثيل والقبور والأعمدة والصخور والمذابح وجدران الهياكل والنقود، قد هدتنا إلى أصول هذه العربية الجنوبية القديمة، وإلى طريقة رسمها وأسلوب تعبيرها، فعرفنا منها أن هذه اللغة بلهجاتها المتعددة تختلف عن اللغة العربية الشمالية " التي هي المقصودة بالعربية عند الإطلاق" اختلافًا جوهريًّا أساسيًّا في القواعد النحوية، والمظاهر الصوتية، والدلالات المعنوية. وأهم اللهجات العربية الجنوبية أربع: المعينية، السبئية، والحضرمية، والقتبانية، ومعها اللغات السامية في الحبشة، ولو تأثر معظمها باللهجات الحامية.

(١) المرجع السابق ،ص٥١

ويراد " بالمعينية " اللهجة المنسوبة إلى المعينين Mineens، الذين أسسوا في بلاد العرب، في القسم الجنوبي من اليمن، مملكة قديمة، لا يعرف على وجه التحديد متى كانت نشأتها، وإن كانت بعض الدلائل تشير إلى تكونها حوالي القرن الثامن ق. م.

والسبئية: هي اللهجة المنسوبة إلى السبئيين الذين أقاموا مملكتهم على أنقاض المملكة المعينية، ومن المعروف أن مدينة "مأرب" كانت عاصمة المملكة السبئية التي كان لها في التاريخ شأن عظيم، وقد ظلت السبئية سائدة في بلاد اليمن خلال المدة الطويلة التي قبض فيها السبئيون على زمام الحكم؛ بل لدينا من الآثار والنقوش ما يؤكد بقاء هذه اللهجة حتى في أثناء الحكم الحبشي الأول لهذه البلاد "بين ٣٧٥-٤٠٠ بعد الميلاد " [1].
والحضرمية : هي اللهجة المنسوبة إلى حضرموت، التي استمرت أمدًا غير قليل تنازل سبأ الحكم والسلطان، وكانت حضرموت مملكة عظيمة ذات حضارة زاهرة، ولكن سبأ كانت أقوى منها فغلبتها على أمرها وأزالتها من الوجود.

والقتبانية: هي اللهجة المنسوبة إلى قتبان Quataban، وهي مملكة عظيمة أنشئت في المنطقة الساحلية الواقعة شمال عدن، وكُتِبَ عليها أن تنقرض في أواخر القرن الثاني ق. م.، بعد الحروب الكثيرة التي نشبت بينها وبين سبأ، وكان من نتائج هذه الحروب أن اندمجت القبائل القتبانية في السبئية التي غلبتها على أمرها.

---

(١) د. صبحي إبراهيم الصالح: دراسات في فقه اللغة ،ص٥٢-٥٣

والحبشة السامية: لغات أهمها الجعزية، والأمهرية، والتيجرية، وأقدم هذه اللغات هي الجعزية، أو الحبشية القديمة، التي يرتد تاريخ آثارها إلى سنة ٣٥٠م ، وهي في بعض خصائصها قريبة من العربية، حلت محلها الأمهرية سنة ١٢٧٠، ثم باتت منذ القرن التاسع عشر لغة الحبشة الرسمية. أما التيجرية فهي شديدة الشبه بالجعزية، وإن لم تتفرع منها.

من هذا العرض السريع للهجات العربية الجنوبية، يتضح أن السبئية هي التي غلبتها جميعًا في صراعها معها، فقوضت قبائلها ملك المعينين، وأزالت ملك الحضارمة والقتبانيين، وظلت لها السيادة في بلاد اليمن القديمة، وأكثر النقوش التي عُثِرَ عليها مدونة بهذه السبئية المتغلبة وجدت في منطقة العلا في الواحات الواقعة شمال بلاد الحجاز، ومنها ما عُثِرَ عليه في المناطق الشمالية المتاخمة لبلاد كنعان، والخط الذي كانت تدون به هذه النقوش هو المعروف "بالمسند" الذي تستند أكثر حروفه إلى ما يشبه الأعمدة، وهو خط هندسي الشكل لطيف منسق. ونذكر على سبيل المثال سطرًا من أحد النقوش السبئية ندونه بحروفنا العربية، ونترجمه إلى لغتنا، ليظهر الفرق العظيم بين العربية الجنوبية القديمة بسائر لهجاتها، وبين العربية الشمالية التي ما نزال ننطق بإحدى لهجاتها إلى يومنا هذا.

أما العربية الشمالية: فإننا لا نكاد نعرف شيئًا عن نشأتها، والمراحل التي اجتازتها في عصورها الأولى، وهي قسمان: العربية البائدة التي لا يتجاوز أقدم ما وصلنا من نقوشها القرن الأول ق. م.، والعربية الباقية التي لا تجاوز آثارها القرن الخامس بعد الميلاد [1].

---

(١) د. صبحي إبراهيم الصالح: دراسات في فقه اللغة ،ص٥٤

وكذلك أن اللغة العربية الباقية هي التي ما نزال نستخدمها في الكتابة والتأليف والأدب، وهي التي وصلتنا عن طريق الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والسنة النبوية؛ لذلك تنصرف إليها "العربية" عند إطلاقها، والواقع أن الإسلام صادف -حين ظهوره- لغة مثالية مصطفاة موحدة، جديرة أن تكون أداة التعبير عند خاصة العرب لا عامتهم، فزاد من شمول تلك الوحدة وقوّى من أثرها بنزول قرآنه بلسان عربي مبين هو ذلك اللسان المثالي المصطفى١، وكان تحدّيه لخاصة العرب وبلغائهم أن يأتوا بمثله، أو بآية من مثله، أدعى إلى تثبيت تلك الوحدة اللغوية، على حين دعا العامة إلى تدبر آياته وفقهها وفهمها، وأعانهم على ذلك بالتوسعة في القراءات، ومراعاة اللهجات، في أحرفه السبعة المشهورة .

العربية البائدة وأهم لهجاتها:

وواضح أن المراد من العربية البائدة عربية النقوش التي بادت لهجاتها قبل الإسلام، وهي التي ظهر على آثارها الطابع الآرامي، لبعدها عن المراكز العربية الأصلية بنجد والحجاز، على حين يقصد بالعربية الباقية هذه اللغة التي ما نزال نستخدمها في الكتابة والتأليف والأدب، وهي التي وصلت إلينا عن طريق القرآن الكريم والسنة النبوية والشعر الجاهلي.
وأهم اللهجات العربية البائدة ثلاث: الثمودية، والصفوية، واللحيانية.
فالثمودية: هي اللهجة المنسوبة إلى قبائل ثمود، التي جاء في القرآن ذكرها وذكر مساكنها في مواضع كثيرة، وتاريخ معظم النقوش المدونة بهذه اللهجة يعود إلى القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد، ويبلغ تعداد هذه النقوش ما يزيد عن ألف وسبعمائة عُثِرَ عليها فيما بين الحجاز ونجد وفي شبه جزيرة سيناء

وبالقرب من دمشق، وقد دونت بخط جميل أنيق مشتق من " المسند "، يتجه من أعلى إلى أسفل، ولا يثبت على حال واحدة، وإذا أمعنَّا النظر في النقوش الصفوية، وجدنا فيها كلمات غير مألوفة في العربية، أخذت من العبرية والسريانية.

والصفوية: هي اللهجة المنسوبة إلى منطقة الصفا، وإن كانت نقوشها قد عثر عليها في مواطن مختلفة في الحَرَّةِ الواقعة بين تلول الصفا وجبل الدروز، ويبلغ عدد هذه النقوش حتى هذا التاريخ ما يزيد على ألفين،ولعل تاريخ تدوينها يرجع إلى ما بين القرنين الثالث والسادس الميلاديين.

وقد حل معظم رموزها واكتشف حروفها الأبجدية المستشرق الألماني إنّو ليتمان Enno Litmann، ولاحظ أن خطها قريب من الثمودي، ولا يبعد أن يكون مشتقًا منه، إلّا أنه شديد التغير والاختلاف، فما يكاد يستقر على حالٍ واحدة، فهو تارةً يقرأ من الشمال إلى اليمن، وتارةً أخرى من اليمين إلى الشمال. وهذا التشابه بين الخطين الثمودي والصفوي، جعل بعض العلماء يطلقون على الخط القديم الذي يبدو فيه أثر النوعين كليهما اسم: " الخط الثمودي الصفوي" فإذا أرادوا التمييز والتفرقة قالوا: هذا خط ثمودي فقط ، وهذا خط صفوي فقط.

واللحيانية: هي اللهجة المنسوبة إلى قبائل لحيان، التي يرجح أنها كانت تسكن شمال الحجاز قبل الميلاد، وقد عُثِرَ على نقوش كثيرة تذكر أسماء ملوك لحيان، وأغلب الاحتمالات أن تاريخ هذه النقوش يعود إلى ما بين سنة ٤٠٠ وسنة ٢٠٠ قبل الميلاد، والخط الذي دونت به مشتَقٌّ كذلك من المسند، غير أنه

أنيق، وألطف وأثبت نظامًا، وأكثر رونقًا من الخطين الثمودي والصفوي، فهو يكتب مستعرضًا من اليمين إلى الشمال [1].

ومع أن هذه المجموعة من اللهجات الثلاث: الثمودية، والصفوية، واللحيانية، لم تصل إلينا إلّا عن طريق نقوش قليلة الأهمية على كثرتها، ضحلة المادة على تنوعها، وامتازت بأمرين، أحدهما: أنها أقرب لهجات العربية البائدة إلى الفصحى، والآخر: أن الخط الذي دونت به ينبغي أن يعتبر المرحلة الأولى في تطور الخط العربي وانتشاره .

(شاهد الفيديو)

(١) د. صبحي إبراهيم الصالح: دراسات في فقه اللغة ،ص٥٦

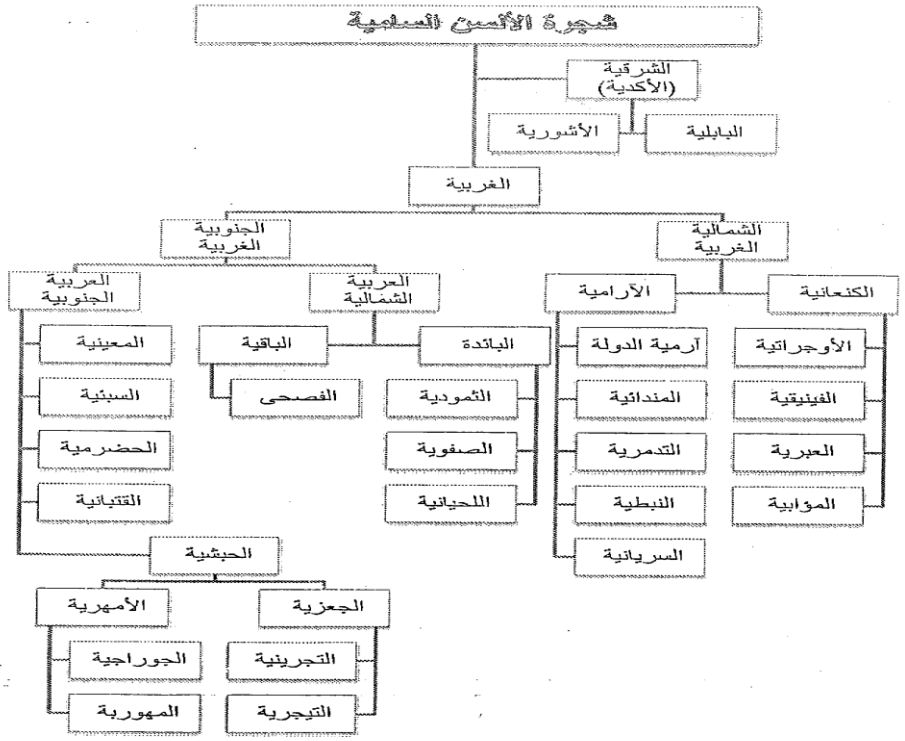
شجرة الألسن السامية
الشرقية (الأكدية)
البابلية
الأشورية
الغربية
الشمالية الغربية
الجنوبية الغربية
الكنعانية
الآرامية
الأوجراتية
الفينيقية
العبرية
المؤابية
الأدومية
المندائية
التدمرية
النبطية
السريانية
العربية الشمالية
العربية الجنوبية
البائدة
الباقية
الثمودية
الصفوية
اللحيانية
الفصحى
المعينية
السبئية
الحضرمية
القتبانية
الحبشية
الجعزية
الأمهرية
التجرينية
التيجرية
الجوراجية
المهورية

شكل رقم (١)

الفصل الرابع : تاريخ اللغة العبرية

اللغة العبرية Hebrew Language

هي إحدى اللغات التي تنتمي إلى مجموعة اللغات السامية التي كان يتكلم بها الوافدون في العصور التاريخية من الجزيرة العربية ، المهد الأصلي للساميين إلى المناطق الزراعية في ارض الرافدين وسوريا ولبنان القديم وفلسطين والحبشة ، فاللغة العبرية هي إحدى اللغات التي تفرعت عن اللغة الكنعانية .

وعلى الرغم من تسميتها باللغة العبرية ، فهي ليست لغة جميع العبريين ،تلك القبائل التي تتألف من بني إسرائيل وجملة شعوب أخرى مثل بني إسماعيل وبني مدين والعمالقة وآل أدوم وأهل مؤاب و عمون ، وذلك طبقا لما ورد في التوراة سفر التكوين الإصحاح ٢٥من١:٧ و الإصحاح ٣٦من ١:٩ ، بل لغة فرع واحد من فروعهم وهو بني إسرائيل .

فقدا جاء في الكتب المقدسة أن إبراهيم العبري أب لشعبين عظيمين هما العرب و العبرانيون ، ذرية إسماعيل وإسحاق ولي هاجر وسارة ، وتختلف الآراء في سبب تسمية إبراهيم بالعبري ، فبعض المستشرقين يرى – اعتمادا على نظرية أحبار اليهود القدماء – أن إبراهيم إنما عرف بالعبري لأنه عبر النهر، وقد اختلف أولئك الأحبار في تعيين ذلك النهر ، فذهب بعضهم الى نهر الأردن ، وذهب البعض الآخر إلى أنه نهر الفرات و الواقع أن كلمة نهر كانت تطلق في التوراة على الأنهر الكبيرة ، دون أن يضاف إليها ما يميز بعضها عن البعض الآخر .

ويرى البعض الآخر أن إبراهيم وصف بالعبري نسبة إلى أحد أبنائه الاقدميين عيبر (עבר) وإذا أمعنا النظر في جدول أبناء عيبر إلى عهد إبراهيم الخليل وجدنا أن معظم الأمم السامية منسوبة إليه .

ويقول إسرائيل ولفتنسون في كتابه " تاريخ اللغات السامية " أن كلمة " عبري " لا ترجع إلى شخص بعينه أو حادثة معينة ، وإنما ترجع إلى الموطن الأصلي لبني إسرائيل ، وذلك أن بني إسرائيل كانوا في الأصل من الأمم

البدوية الصحراوية التي لا تستقر في مكان ، بل ترتحل من بقعة إلى أخرى بإبلها وماشيتها بحثا عن الماء و الكلأ ، وهو يرى أن كلمة عبري في الأصل مشتقة من الفعل الثلاثي عبر بمعنى قطع مرحلة من الطريق ، او عبر الوادي او النهر او عبر السبيل شقها ، وهذه المعاني كلها نجدها في هذا الفعل ، سواء في العربية أم العبرية ، وهي في مجملها تدل على التحول و التنقل الذي هو من اخص ما يتصف به سكان الصحراء وأهل البادية .

وكذلك يذكر الدكتور رشاد الشامي محاورات البعض لكي يربط بين أصل كلمة عبري باعتبارها تحريفا لكلمة עוברים عوفريم أي العابرون او الجوالون الأغراب ، ومن هنا جاء الربط بين كلمة عبري وكلمة خابير و المذكورة في رسائل تل العمارنة ، وفي بعض النقوش القديمة الأخرى التي ترجع إلى الألف الثاني ق.م حيث يذكر الدكتور رشاد الشامي أن تفصيل رحلات الآباء حسبما هي واردة في التوراة من بابل إلى كنعان ،عن طريق حاران وأرض الحيثيين و الأموريين وأرض مصر تشبه في تفاصيلها رحلة الخابيرو المذكورة في رسائل تل العمارنة وفي بعض النقوش القديمة الأخرى و أيضا بالنسبة لحالتهم الاقتصادية و الاجتماعية و الدينية والمدنية ، أن هناك وجه شبه بين الخابيرو و العبرانيين ، والجدير بالذكر أن كل من العبريين و الخابيرو قد ظهر على مسرح الأحداث التاريخية في بداية الألف الثاني ق.م وانتهى ذكرهم في نهاية هذه الألف ، وبعد هذه الفترة لا يرد ذكر للخابيرو ، بينما يظهر الاسم " عبري " الذي لم يستعمل بسبب شيوع اسم إسرائيل في الاستعمال [1].

ويرجح الدكتور محمد خليفة أن العبريين يرجعون إلى الأصل العربي مؤكدا رؤيته ببعض الاستنتاجات التاريخية ، حيث يذكر أن الاسم العبري أقدم المسميات على الإطلاق وهو اسم الشعب الذي نزح مع الهجرات العربية

(1) رشاد الشامي ، تطور وخصائص اللغة العبرية ، ص ١١-١٢

القديمة من قلب الصحراء إلى الأجزاء الشمالية من منطقة الشرق الأدنى واستقرت في منطقة فلسطين ، والتي منها خرجت بعض الجماعات العبرية إلى مصر واستقرت بها عددا من القرون ، ثم خرجت من مصر بزعامة النبي موسى – عليه السلام – وعادت إلى ارض كنعان (فلسطين) ، ودخلت في صراع جديد مع الكنعانيين وامتزجت بهم وتغلبت عليهم سياسيا وعلى هذا الأساس فالأرجح أن العبريين القدامى من أصل عربي قديم نزح عن الجزيرة العربية في عدد من الهجرات السامية ، ويتخذ بعض العلماء من التقارب اللغوي بين عربي وعبري دليلا على الأصل العربي للعبريين [1] .

وكما ذكرت سابقا أن اللغة العبرية ليست لغة لكل العبريين بل لغة فرع واحد منهم هو فرع بني إسرائيل ولا يوجد في العهد القديم ما يدل على أن لغة بني إسرائيل كانت تسمى باللغة العبرية ولكنها كانت تعرف باسم اللغة اليهودية أو باسم لغة كنعان ولم تعرف باسم اللغة العبرية إلا بعد السبي البابلي في سفر ابن سيرا و المشنا و التلمود ، حيث تبدأ اللغة العبرية تاريخها في القرن الثاني عشر ق.م عندما دخلت قبيلة إسرائيل أرض فلسطين ، وقد تعلم أبناء القبيلة الوافدة لهجة المنطقة التي حلو فيها من فلسطين ، وهي إحدى اللهجات الكنعانية الجنوبية ، ويكاد العصر القديم يكون المصدر الوحيد للتعرف على تاريخ العبرية مدة طويلة (ألف عام) تبدأ بدخول بني إسرائيل لأرض فلسطين وتمضي إلى القرن الثاني ق.م ، وقد أوضحت الكشوف الأثرية في القرن العشرين عددا من النقوش العبرية القديمة ، وهو عدد قليل لا يقارن على الإطلاق بعدد النقوش الفينيقية فضلا عن الأكادية .

وفي السنوات الأخيرة ظهرت مجموعة من نصوص دينية وأدبية مكتوبة على البردي وعلى الجلد سميت بلفائف البحر الميت وترجع هذه الكتابات إلى الفترة ما بين القرن الثالث ق.م و الثاني الميلادي ، وتحاول السلطات الحاكمة

([1]) محمد خليفة حسن ، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته ، ص٢٢٣

في إسرائيل تدعيم ارتباطها بالأرض بالاهتمام بالكشوف الأثرية ، ولكن هذه الكشوف لا تكاد تظهر إلا القليل وفي سنة ١٩٦٠م وجدت مجموعة رسائل عبرية أرجعها أحد المؤلفين إلى القرن الثاني الميلادي [١].

وقد نزح بنو إسرائيل من شبه جزيرة سيناء ، و أغاروا على بلاد كنعان ، ففتحوا قسما كبيرا منها ودانت لسلطانهم واستقروا بفلسطين حوالي لقرن الثالث عشر ق.م ، ومع أنهم دخلاء على هذه البلاد ، فإن لغتهم تتفق مع لغاتهم في معظم مظاهر الصوت و القواعد وأصول المفردات ، وتؤلف معها شعبة واحدة ، وقد اختلف العلماء في تعليل هذه الظاهرة ، نوجزها في عدة آراء هي :

- أن بعضهم يرى آن سبب هذه المشابهة يرجع إلى أن لغتهم قد انتقل إليها من لغات السكان الأصليين كثير من المفردات ومظاهر الصوت والدلالة و قواعد الصرف و الاشتقاق وما إلى ذلك ، وهذا هو اضعف الآراء بهذا الصدد ،لأن المشابهة بين العبرية وبقية اللغات الكنعانية ليست من النوع السطحي الذي يمكن أن يرجع سببه إلى الاقتباس على أن الاقتباس لا يكاد يجرى إلا في المفردات ، أما القواعد فليست من الأمور التي تنتقل من لغة إلى لغة أخرى .

- وبعضهم يرى أن سبب اتفاق لغتهم مع بقية اللغات الكنعانية يرجع إلى أن بني إسرائيل كانوا في الأصل من هذه البلاد ، ثم هاجروا منها ، ثم عادوا إليها ثانية عن طريق سيناء ، وظلوا في أثناء المدة الطويلة التي قضوها في مهجرهم محتفظين بلسانهم القديم ، ولم يتأثروا إلا قليلا بألسنة الأمم التي قاموا بين أهلها ، ويجد هذا الرأي بعض التأييد فيما ورد في الكتب المقدسة بصدد تاريخ بني إسرائيل .

- وبعضهم يرى أن السبب في هذا يرجع إلى أن اللغة الأصلية لبني إسرائيل قد اشتبكت مع اللسان الكنعاني في صراع انتهى بتغلبه عليها وفقا لنواميس

---

(١) محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ، ص١٦٥

الصـراع اللغـوي ، فانقرضـت لغـتهم الأولـى شـيئا فشـيئا وانتقلـت إلـيهم لغـة السكان الأصليين ، غير أنه قد أصاب هذه اللغة في ألسنتهم كثير من التحريف في أصواتها ومفرداتها وبعض مظاهر قواعدها فنشأ جراء ذلك لهجة متميزة عـن اللهجـات الكنعانيـة الأخـرى ، غيـر أن المعلومـات التاريخيـة فـي الوقـت الحاضر لا تقطع برأي من هذين الرأيين الأخيرين أو أن ترجح صحته ، وإن كان المتداول المشهور بين معظم المحدثين من الباحثين اعتبار بنـي إسرائيل من الشعوب الكنعانية .

- وبعضـهم يـرى أن العبريـة و الآراميـة لهجتـان مـن اللغـة الكنعانيـة ولكـن إسرائيل ولفنسون يرى أن هذا غير صحيح و أن العبريين جاؤوا بلغتهم من مـوطنهم الأصـلي ولـم يقتبسـوها مـن الكنعـانيين بعـد اتصـالهم بهـم و أن اللغـة العبرية و اللغة الكنعانية كانتا لغو واحدة تحدثت بها الأمم التي كانت تسكن فلسطين فـي فتـرة زمنيـة معينـة فلمـا تفرقت الأمـم وتباعـدت اختلفت لهجاتهـا وتميـزت فكانـت إحـداهما العبريـة و الأخـرى الكنعانيـة وهـذا هـو التشـابه بـين هاتين اللغتين .

وبصفة عامة فان اللغة العبرية كانت هي اللغة الشائعة الاستعمال على السنة اليهود طـوال فتـرة الهيكل الأول كمـا كانـت هـي اللغـة الرسمية فـي إسـرائيل ويهـوذا ، وكتبـت بهـا الكتابـات المقدسـة وسـائر الكتابـات الأدبيـة القديمـة وتدهورت اللغة العبرية وفقدت مكانتها كلغة حديث وحيدة بعد تخريب الهيكل الأول وحلت اللغـة الآراميـة مكانهـا ولكـن علـى الـرغم مـن ذلك وطـوال فتـرة الهيكل الثـاني ، وحتـى القرن الثـاني الميلادي ظلت اللغـة العبريـة لغـة حيـة ، وإن كانـت قـد تـأخرت كثيـرا بـين دوائـر العبـريين وخاصـة بـين الحكمـاء و الزعمـاء الـدينيين وهـذا لـم يحـل دون تـأثير اللغـة الآراميـة و اليونانيـة علـى جماهير اليهود إلـى أن حلت هذه اللغات بمرور الزمن محل اللغـة العبريـة ، وفي فترة التنائيم لم تكن اللغة العبرية منتشرة على ألسنة جماهير اليهود وكـان

الحكماء فقط هم الذين يستخدمونها ولذلك سميت اللغة العبرية في هذه الفترة بلغة الحكماء وكتب بها أدب المشنا وبقية كتب الجمارا .

وفي أجيال الأمورائيم توقف الخطباء عن إلقاء دروسهم باللغة العبرية التي اختفت من على ألسنة الجميع وأصبحت اللغة الآرامية هي اللغة الرسمية الشائعة الاستعمال على ألسنة اليهود وأصبحت اللغة العبرية منذ ذلك الوقت هي اللغة المقدسة ، وأصبحت اللغة الآرامية هي لغة الشعب أو لغة الحديث اليومي وظلت اللغة العبرية على هذه الحالة خلال فترة الشتات إلى أن حدثت عملية إحياء اللغة العبرية في العصر الحديث .

مصادر اللغة العبرية

أقدم مصادرنا في اللغة العبرية ، هي قصيدة دبوره (الإصحاح الخامس – سفر القضاة) قرب نهاية الألف الثاني ق.م ، وبالرغم من أن هذا النص لم ينج من أثر الزمن على لفظه ، فإنه بسبب تواتره على الألسنة وكونه أنشودة غنائية حماسية موزونة ، قد احتفظ بالكثير من سمات لغنته الأصلية ، وهي لغة تبدو بوضوح أقدم و أكثر بداوة من لغة التوراة نفسها ، غير أن أهم نص كتب بها ، هو العهد القديم .

المصادر اللغوية للغة العبرية

وصلت إلينا اللغة العبرية عن طريق ثلاث طرق ،هي :

- الكتب التي دونت بها ، وهي أسفار العهد القديم (التناخ) و نصوص المشنا وملحقاتهما وعدد كبير من المؤلفات القانونية و الفلسفية و العلمية و الأدبية التي دونها علماء اليهود بهذه اللغة في مختلف العصور .
- بعض نقوش أثرية على لوحات من الصخر و المعدن .
- استخدام اليهود لها في العبادة وتلاوة بعض الأوراد الدينية وأجزاء من التوراة ، ومن الواضح انه لم يصلنا إلينا من هذه الطرق إلا لغة الكتابة كما هو الشأن في الأكدية و الفينيقية ، أما اللهجات التي كانت مستخدمة في

التخاطب طوال المدة التي كانت العبرية في أثنائها لسان محادثة بين بني إسرائيل فلم يصلنا منها شيء يعتد به ، ولكن يفهم مما ورد في الإصحاح الثاني عشر من سفر القضاة أن النطق ببعض الكلمات كان يختلف باختلاف المناطق ، و أن بعض المناطق كان يصعب على أهلها النطق بكلمات منتشرة في مناطق أخرى .

ويضاف إلى هذا النقص في معلوماتنا عن اللغة العبرية نقص آخر ، وهو أننا لم نقف بشكل يقيني على كيفية النطق بأصواتها ومفرداته ، وذلك أنه ليس من بين المراجع الثلاثة السابقة التي وصلت إلينا هذه اللغة عن طريقها ما يوقفنا بشكل يقيني على كيفية النطق ، أما المراجع المدونة في الكتب أو المنقوشة على اللوحات الصخرية أو النقود فلا تمثل النطق العبري إلا في صورة ناقصة مبتورة ، وذلك لأن الرسم العبري كان يقتصر في مراحله الأولى على الرمز إلى الأصوات الساكنة في الكلمة ، هذا إلى أن الأصوات الساكنة نفسها ليست ممثلة فيه تمثيلا كاملا، فهو لا يضع لكل صوت عام أكثر من حرف هجائي واحد ، مع أن الصوت العام كثيرا ما تندرج تحته أصوات مختلفة في مخرجها ونبرتها وقوتها ومدة النطق بها وما والى ذلك [1].

أما المرجع لثالث الذي وصلت إلينا منه هذه اللغة عن طريق تلاوة اليهود لبعض الأوراد وآيات التوراة ، فلا يوقفنا كذلك بشكل يقيني على النطق العبري الصحيح ، وذلك أن العلماء لم يعنوا بملاحظة هذه التلاوة إلا منذ القرن السابع الميلادي ، أي بعد أن انقرضت اللغة العبرية بأكثر من عشرة قرون (انقرضت اللغة العبرية من التخاطب في أواخر القرن الرابع ق.م)، وغني عن البيان أن عبارات بتناقلها الخلف عن السلف في أثناء مدة طويلة كهذه لابد أن ينال أصواتها الأولى كثير من التحريف تحت تأثير التطور الطبيعي لأعضاء النطق وتفاعل أصوات الكلمة بعضها مع بعض ، وتأثرها

(1) محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ، ص١٦٥

بالأصوات الحديثة ، والأخطاء السمعية التي تحدث في أثناء تناقلها ، و ما إلى ذلك من عوامل التطور الصوتي ، ويؤيد ذلك أنه قد ورد في أقدم ترجمة للعهد القديم (الترجمة السبعينية) وهي التي تمت في أوائل القرن الثالث ق.م قام بها في عهد بطليموس فيلادلفيا على يد اثنين وسبعين حبرا من أحبار اليهود في مصر ، بعض كلمات وجمل عبرية مدونة برسم يوناني ، وأنه بالموازنة بين نطق هذه الكلمات و الجمل حسب رسمها اليوناني و النطق الذي وصل إلينا عن طريق تلاوة اليهود للأوراد الدينية و آيات التوراة يظهر فرق كبير بين النطقين [١].

وبذلك يكون المصدر الأول هو الأساس الذي وصلت إلينا اللغة العبرية من خلاله ويستفاد مما جاء في الإصحاح الثاني من سفر القضاة أن النطق ببعض الكلمات كان يختلف حينئذ باختلاف المناطق وأن مناطق معينة كان يعسر على أهلها النطق بألفاظ شائعة في مناطق أخرى ، وقد حاول المستشرقون الوقوف على كيفية نطق اليهود بالأصوات و المفردات ولكنهم لم يتوصلوا إلى شيء يقيني في هذا الصدد ، ذلك لأنه لم يصل إلينا شيء من اللهجات التي كانت مألوفة في التخاطب طوال الفترة التي كانت للغة العبرية في أثنائها لغة محادثة بين القبائل الإسرائيلية [٢] .

تدوين اللغة العبرية

يقول المستشرق الفرنسي " إرنست رينان " إنه يبدوا من كل القصص الخاصة بإبراهيم وإسحاق و يعقوب (عليهم السلام)، أن العبريين في ذلك الوقت كانوا أميين تماما ، ويدلل على ذلك بأنهم كانوا يعمدون إلى إقامة حجر او ذبح ذبائح او تقديم قرابين او ما شابه ذلك ، لكي يخلدوا ذكرى حادث او يعقدوا حلفا ، ولم يرد قط ذكر لنصوص او صحف مكتوبة ، أما على عهد

---

(١) على عبد الواحد ، فقه اللغة ، ص٣٩-٤٠

(٢) محمد الهواري ، علم اللغة و السلالات اللغوية ، ص١١٧

موسى (عليه السلام) فهناك أدلة جاءت في التوراة على وجود صحف مكتوبة لديهم ، حيث لاحظ بعض الباحثين أن فقرة وردت في توراة موسى (سفر العدد – الإصحاح ٢١: الفقرة ١٥) نصها " لذلك يقال في كتاب حروب الرب ...." فهم منها أنه كانت هناك صحف مكتوبة يقرؤها بنو إسرائيل ، ومن المرجح أن هذه الفقرة وأمثالها كانت من شروح الكهنة قديما ثم تسللت إلى نص التوراة ، ونحن نعلم أن نص العهد القديم في صورته الحالية يرجع إلى أربعة مصادر مختلفة هي : المصدر اليهووي والمصدر الإلوهيمي و المصدر التثنوي و المصدر الكهنوتي ،ومن المرجح أن هذه الصحف كانت منقوشة على أحجار بكتابة تصويرية هيروغليفية أو كتابة مقطعية مسمارية .

ويبدون من المؤكد أن هناك اختلافات شديدة بين عبرية النص المقدس الذي بين أيدي اليهود وبين ما جمعه عزرا من نصوص العهد القديم ، وصنفه من مصادر مختلفة ، وخاصة المصدرين اليهووي و الإلوهيمي ، وما قام بترجمته من بعض المصادر الأخرى إلى اللغة العبرية بعد صياغتها وإكمالها حيث جاء في سفر عزرا أنه كاتب توراة موسى (عزرا ٧:٦) ، ومن الممكن أن تكون بعض حواشي الكهنة التي أقحمت إلى التوراة ترجع إلى أيام السبي البابلي على أنها شروح وإيضاحات .

وقد تمكن العالم السويسري " لوسيان جوتييه " من تحليل العنصرين الأساسيين اليهووي و الإلوهيمي كل على حدة في روايته المستقلة وبترتيب منهجي حسب مادته ، ويبدوان جوتييه قد اعتمد في فصل السياقين على أن السرد اليهودي تظهر فيه البداوة و الاختصار وجزالة الألفاظ واقترابها من الشكل العتيق التراثي للغة ، بينما السرد الإلوهيمي يميل إلى العناية بالتفاصيل ، ولغته أرق لأن مؤلفيه متحضرون لقربهم من فينيقيا ، لذلك فهما يتفقان في المضمون ويختلفان في سرد التفاصيل .

كما يبدوا أن مصادر فكرة جمع أجزاء العهد القديم ترجع إلى أن اليهود الذين عاشوا فترة السبي البابلي في العراق وجدوا مكتبات تضم التراث الأدبي و الديني للأمة البابلية ، وبعد ذلك عاش اليهود في بابل تحت حكم الفرس ، وفي هذه الفترة ظهر كتاب يصور عقائد "زرادشت " وهو " زندا فستا " حوالي عام ٥٦٠ق.م ، واغلب الظن أن ظهوره كان حافزا لليهود على جمع أسفارهم في كتاب أسبغوا عليه صفة التقديس وهو العهد القديم ، وكان ذلك على يد عزرا النبي في القرن الخامس ق.م .

وعبرية العهد القديم تعتبر الصورة المثالية الكاملة للغة العبرية عند اليهود ويتمثل أسلوبها الناضج و المتكامل في سفر إشعيا وإرميا وحزقيال ، فهذه ذروة التطور في العبرية الفصحى التي شانها شان أي لغة في العالم تطورت تطورا كبيرا خالا الفترة الزمنية الطويلة بين موسى وعزرا و التي امتدت حوالي ألف عام ، أي قبل هذه الفترة كانت اللغة العبرية ما تزال تحتوي على ملامح عبرية البداوة القديمة ، مثل قصيدة دبوره النبيه و بعض أجزاء من سفر صموئيل .

وطوال فترة الهيكل الأول (معبد سليمان – حوالي ٩٧٣ق.م وحتى السبي البابلي عام ٥٨٧ق.م) كانت اللغة العبرية هي اللغة الرسمية و الدينية الشائعة الاستعمال على لسان اليهود في فلسطين ، وهو دور فصيح وصلت فيه إلى قمة ازدهارها في عهد سليمان وربما في عهد أبيه داوود عليهما السلام أيضا ، إلا أنه بعد تخريب الهيكل الأول على يد الملك البابلي نبوخذ نصر (بختنصر) عام ٥٨٧ق.م انحدرت اللغة العبرية وفقدت مكانتها لغة رسمية لليهود لانهيار الدولة ، واقتصر استعمالها على الناحية الدينية فقط ، حيث استمرت لغة للحكماء يستعملونها في المعابد ، وبدأت اللغة الآرامية – التي كانت سائدة بين شعوب الشرق القديم – تحل محلها ، وهنا تأثرت اللغة العبرية بالتيار الآرامي الكلداني وأصبحت اللغة الآرامية اللغة الرسمية و

الشائعة الاستعمال على لسان اليهود ، حتى أن حكمائهم قاموا بترجمة العهد القديم إلى الآرامية – وهو ما عرف بالترجوم – وذلك عندما أصبح اليهودي يجهل اللغة العبرية ويحتاج إلى ترجمة بلغة يعرفها ليفهم النصوص الدينية التي يعتمد عليها في العبادات و المعاملات ، كل ذلك قصر اللغة العبرية في النهاية على المجامع العلمية و الدينية ، وقد أصبحت منذ القرن الثالث ق.م لغة مغايرة في روحها و جرسها و تراكيبها للغة العهد القديم ، حتى أن علماء اليهود اختصوها بنحو خاص بها ، كما وجدت في عبرية المشنا ألفاظ دخيلة من الفارسية و البابلية و اليونانية و اللاتينية فضلا عن الرامية ، وقد ازداد التأثير الآرامي حتى أنه لم يقتصر على المفردات بل تعدى الأمر إلى أن أصبح تركيب اللغة تركيبا أراميا ، وتمت صياغة بعض الصور البلاغية الآرامية في قالب عبري اتسم بالدقة و البساطة .

وهكذا انتهى أمر اللغة العبرية كلغة حية بين اليهود وحلت محلها الآرامية ، لذلك جاءت نصوص الجمارا بالآرامية شرحا لشرائع المشنا ، وانحصر أمر اللغة العبرية في المعابد اليهودية يصلون بها .

وقد حاول أمراء المكابيين الذين تولوا الزعامة الدينية على اليهود في فلسطين منذ فتح اليونان لها على يد الاسكندر الأكبر ، إحياء اللغة العبرية من جديد ، وذلك استكمالا لهدفها الأساسي في استعادة الهيكل وتطهيره و إقصاء الذين انحرفوا واتبعوا الهيلينية عن خدمة المعبد ، وإحداث استقلال ذاتي لليهود في فلسطين ، ولكن يبدو أن محاولاتهم لإنهاض اللغة العبرية من عثرتها لم تلق إلا نجاحا محدودا ، لدرجة أن التأثير الآرامي الذي اجتاح هذه اللغة بلغ حدا كبيرا ، فدخلتها صيغ صرفية آرامية بحتة وبعض مؤثرات نحوية خاصة في تركيب الجملة ، ومن أهم الأسفار عصر المكابيين سفرا أيوب و الجامعة ، وهما من أسفار الحكمة .

وإزاء هذا التراث الذي يغطى فترة من الزمان تزيد على الألف عام ، بدأ العلماء يبحثون في داخل النصوص العبرية عن القديم منها و الجديد لغويا وخرجوا من ذلك بأن اللغة العبرية التي حفظها العهد القديم تتضمن ثلاثة أدوار :

أولا : دور عتيق جدا سابق على جمع هذا الكتاب

ثانيا : دور فصيح وصلت فيه اللغة العبرية إلى قمة ازدهارها في عهد سليمان وربما في عهد أبيه داوود أيضا ، ففيه استقرت صيغ الصرف في اللغة العبرية وتقاربت لهجات الأسباط في قناة واحدة .

ثالثا : بعد ذلك يأتي عصر تتأثر فيه اللغة العبرية بالتيار الآرامي و الكلداني وهو عصر الانحطاط ، وكانت الآرامية قد أخذت تسود منطقة الشام شيئا فشيئا قبل هذا التاريخ ، وما نكاد نصل إلى القرن السادس ق.م حتى نجد اليهود يتعاملون باللغة الآرامية في حياتهم اليومية ، وكتب بها جانب كبير من سفر دانيال و أجزاء من سفر عزرا واستير ، وظهر أثرها واضحا في عبرية أسفار نحميا وحجاي وزكريا وأخبار الأيام و الجامعة .

والجدير بالذكر أن اللغة العبرية إبان الشتات الأول (القرن الخامس ق.م) تعرضت إلى تأثيرات مباشرة من اللغات المنتشرة في العراق ، وهي البابلية و الآرامية ، يضاف إليها بعض الفارسية بعد استيلاء الفرس على العراق في نفس هذه الفترة ، وبعض العربية لاستمرار العلاقات التجارية بين العراق القديم و شبه الجزيرة العربية ، أما الشتات الثاني وهو الشتات الروماني (١٣٥م عل يد الإمبراطور هادريان) الذي شطر اليهود على قلة عددهم إلى نصفين ، نصف انتشر في حوض البحر الأبيض المتوسط أي في جنوب أوروبا وشمال أفريقيا ، و النصف الآخر في الأصقاع الشمالية لأوروبا ، فظهرت في التلاوة الدينية عند كلا من النصفين طريقة مميزة بصوتيهما ، وهكذا عرفنا في اللغة العبرية النطق الاشكنازي الشمالي و النطق السفردي

الجنوبي ، وعلى الرغم من أن مؤسسي الصهيونية كانوا من الاشكنازي إلا أنهم أقروا النطق السفردي أساسا للتعليم و الإعلام و المخاطبات الرسمية وغيرها واعتبروه النطق الأفصح .

ولكن هناك خلافا بين الباحثين في تصنيف المراحل التي مرت بها اللغة العبرية بعد العهد القديم وقبل العصر الحديث ،إذ يجعلها البعض فترة واحدة تعرف باسم العبرية الوسيطة ، في حين يقسم البعض الآخر هذه الفترة إلى مراحل مختلفة ، ولعل التقسيم الذي اتفق عليه معظم العلماء هو أربع مراحل رئيسة:

١- المرحلة الأولى العبرية القديمة أو عبرية العهد القديم : وتسمى عندهم بأسماء أهمها وأشهرها " التناخ و المقرا "، و تبدأ هذه المرحلة من نشأت هذه اللغة حوالي القرن الثالث عشر ق.م إلى أواخر القرن الرابع ق.م ، وقد أطلق عليها عبرية العهد القديم نظرا لأن أهم ما وصل إلينا من آثارها في هذا العصر هي أسفار العهد القديم ، وقد قسمت هذه المرحلة إلى قسمين الأول يبدأ منذ نشأت اللغة و ينتهي بنفي بابل (سنة ٥٨٧ق.م)، فتستغرق المدة التي تمتع في أثنائها بنو إسرائيل باستقلالهم السياسي الكامل ، وتسمى هذه المرحلة بالمرحلة الذهبية للغة العبرية ، حيث إنه في هذه المرحلة بلغت اللغة العبرية عنفوان مجدها ووصلت إلى أقصى ما أتيح لها أن تصل إليه من الرقي و التهذيب واتساع النفوذ ، وقوة السلطان ، وكانت أثنائها فصيحة خالصة من الشوائب والقرون الثلاثة الأخيرة من هذه المرحلة (من النصف الأخير من القرن التاسع حتى أوائل القرن السادس ق.م)هي التي دون فيها معظم أسفار العهد القديم ، وأقدم ما وصل إلينا من آثار هذه المرحلة قصيدة حماسية دينية وردت في الإصحاح الخامس من سفر القضاة منسوبة إلى حكيمة من حكيمات بني إسرائيل تدعى دبورا، يظن أنها عاشت حوالي القرن الثاني عشر ق.م ، فتاريخ هذه القصيدة يرجع إذن إلى بداية العهد الذي استقر فيه بنو إسرائيل

ببلاد فلسطين ، وقد وصل إلينا كذلك من آثار هذه المرحلة - غير الكتب المدونة – نقش تاريخي هام ، وهو اللوحة التذكارية لنبع عين السلوان (قناة السلوان)، حيث اكتشف هذا النقش العبري القديم سنة ١٨٨٠م على الحائط الأيمن من القناة التي تربط النبع (نبع جيحون قديما وعين سيتي مريم حاليا) ببركة السلوان بالقرب من مدينة القدس في قرية السلوان ، ويصف هذا النقش عملية نحت النفق داخل الجبل من اتجاهين متعاكسين حتى تلاقى العمال النحاتون عند نقطة تقابل داخل النفق ، كتب عندها النقش تخليدا لذكرى عملهم الهام ، وقد أنجز هذا النفق في عهد الملك حزقيا ملك يهوذا (٧٢٦-٦٩٨ق.م)

.

أما القسم الثاني من هذه المرحلة يبدأ من السبي البابلي ٥٨٧ق.م إلى أواخر القرن الرابع ق.م ، حيث تنتهي هذه المرحلة بانقراض اللغة العبرية من التخاطب وحلول الآرامية محلها ، وتسمى هذه المرحلة بالمرحلة الفضية للغة العبرية ، حيث أخذت عوامل الفناء منذ بداية هذه المرحلة تدب شيئا فشيئا في اللغة العبرية وأخذت الآرامية تقتحم عليها معاقلها وتنتقص من مناطقها قليلا قليلا ، حتى قضت عليها كما قضت على الأكدية من قبل ، حقا أن اليهود الذين أجلاهم بختنصر إلى بابل قد حرصوا على لغتهم كل الحرص طوال مدة نفيهم وبعد عودتهم إلى بلادهم ، وأن اليهود الذين لم يشملهم هذا النفي وبقوا في فلسطين لم يقلوا عن إخوانهم رغبة في الإبقاء على لسانهم ، وأن أحبار اليهود ورؤسائهم لم يألوا جهدا في محاربة الآرامية وبث كرهها في نفوس بني إسرائيل ،ولكن هذا كله لم يستطع سبيلا إلى وقف تيار الآرامية ، ولم يقوى على إعاقة قوانين الصراع اللغوي ، فلم يكد ينتهي القرن الرابع ق.م حتى كانت اللغة العبرية في عداد اللغات الميتة في التخاطب ، وقد ذلل للآرامية سبل التغلب على العبرية انتماؤهما إلى شعبة لغوية واحدة ، وقوة أواصر القرابة التي تربط كلتيهما بالأخرى ، وكذلك تفكك بني إسرائيل في

هذا العصر وفقدان سلطانهم السياسي ، و أهم ما وصل إلينا من آثار هذه المرحلة بعض أسفار العهد القديم (يونس ، زكريا ، قسم من دانيال ....الخ) وبعض الآثار الأدبية التي تعد من أرقى ما وصل إلينا من هذه اللغة

٢- المرحلة الثانية مرحلة العبرية الربانية أو التلمودية (عبرية المشنا) ، حيث تبدأ هذه المرحلة من أواخر القرن الرابع ق.م وتنتهي قبل بداية العصر الوسيط ، ويطلق على اللغة العبرية في هذه المرحلة بالعبرية الربانية أو التلمودية ، ذلك لأن أهم ما وصل إلينا من آثار هذه المرحلة هو بحوث الربانيين في التلمود ، فقد تألف من بحوثهم في شئون الدين و القانون و التاريخ المقدس ... وما إلى ذلك ، ثلاثة وستون كتابا باللغة العبرية أطلق عليها اسم المشنا ، ثم شرحت هذه المشنا فيما بعد باللغة الآرامية وأطلق علي هذه الشروح اسم الجمارا ، وتألف من المشنا و الجمارا ما أطلق عليه اسم التلمود ، ووصل إلينا كذلك من آثار هذه المرحلة غير كتب المشنا ، مؤلفات كثيرة في مختلف فروع الآداب و العلوم و الفلسفة و الدين .

وتختلف آثار هذه المرحلة في فصاحة لغتها وصحتها تبعا لاختلاف المؤلفين في مبلغ تمكنهم من هذه اللغة وإلمامهم بآدابها القديمة ، ولكنها تمتاز على العموم بشدة تأثرها باللغة الآرامية ، ويظهر فيها كذلك شيء غير قليل من مظاهر التأثير ببعض اللغات الهندية- الأوروبية التي احتك اليهود بأهلها احتكاكا سياسيا أو ثقافيا ، وخاصة اللغات اليونانية و اللاتينية و الفارسية ، واليك مثلا المشنا نفسها بالرغم من أنها قد دونت باللغة العبرية ، فإن كثيرا من المفردات التي استخدمت فيها مقتبسة من اللغة الآرامية ، وتشمل كذلك على عدد غير قليل من الكلمات الإغريقية و اللاتينية و الفارسية .

ومن المهم الإشارة هنا إلى مخطوطات البحر الميت التي عثر عليها عام ١٩٤٧م في منطقة " خربة قمران " في منطقة أريحا المجاورة للبحر الميت ، ويبدو أنها كانت لفرقة خارجة عن اليهودية يعود تاريخها إلى أواسط القرن

الأول ق.م ، ومعظم هذه المخطوطات مكتوبة بالخط المربع بلغة عبرية خالصة حاولوا تنقيتها من الشوائب بحيث تحاكي أسلوب أسفار الأنبياء الأول ، ويظن بعض الباحثين أن هذه الطائفة فرع من فرقة الأسينيين ، على أساس أنها طائفة يهودية شديدة التعصب ، ممعنة في المحافظة على كل ما هو قديم حتى في اللغة نفسها .

٣- المرحلة الثالثة مرحلة العبرية الوسيطة " عبرية الشتات " ، وتبدأ هذه الفترة اعتبارا من بداية القرون الوسطى حتى بداية القرن السابع عشر الميلادي ، وخلال هذه الفترة كتبت بالعبرية مؤلفات كثيرة في بلاد عدة ، ولكن أبرز أثار هذه الفترة هو ما كتب في بلاد الأندلس تحت تأثير الثقافة العربية في مختلف فنون الأدب والشعر والفلسفة والنحو وتفاسير التوراة، وفى خلال هذه الفترة ازدهرت اللغة العبرية ازدهارا كبيرا لدرجة أن العلماء يطلقون عليها مسمى " عبرية العصر الذهبي" ، وبرزت فيها أسماء لشعراء أمثال يهودا هليفى ، شلومو بن جبيرول، موسى بن عزرا ، وفلاسفة مثل موسى بن ميمون وعلماء نحو مثل يهودا بن حيوج ومفسري التوراة ، أمثال سعديا الفيومي.

٤- مرحلة العبرية الحديثة ، وتبدأ هذه المرحلة مع بداية عصر التنوير اليهودي(الهسكالاه) حينما فكر بعض المتنورين من اليهود في ضرورة الانفتاح الثقافي على الفكر و الثقافة الأوروبية ، ورأوا أن يتم ذلك باللغة العبرية فبدأوا بالكتابة بها في مختلف فنون الأدب والصحافة ، واعتمدوا في ذلك اعتمادا كُبيرا على عبرية التوراة ، ولكنهم سرعان ما اكتشفوا أن عبرية التوراة ليست كافيه للتعبير عن الحاجات المعقدة للحياة العصرية اَلحديثة ، وبعد محاولات شاقة ومتعددة ساهم فيها عدد كبير من أقطاب الأدب العبري في العصر الحديث ، وعلى رأسهم اليعيزر بن يهودا ، تبلورت العبرية الحديثة التي تستعمل الآن بين اليهود، وخاصة في دولة إسرائيل، والعبرية

الحديثة تعتمد اعتمادا أساسيا على ذخيرة التوراة اللفظية ، بالإضافة إلى المفردات العبرية التي استخدمت في عبرية المشنا، و في عبرية العصور الوسطى، ولكن كل هذا لم يكف للوفاء بحاجات العصر الحديث فلجأت إلى استعارة الكثير من المفردات الأجنبية، وخاصة من اللغة العربية والانجليزية والروسية و اليديش.

الأبجدية العبرية

اشتق الرسم العبري القديم من الحروف الفينيقية ، حيث تتألف حروفه الهجائية من اثنين وعشرين حرفا ترمز إلى اثنين وعشرين صوتا ساكنا (صامت)، ويكتب من اليمين إلى اليسار متفرق الحروف ، وقد مر بعدة مراحل في سبيل تطوره ،هي :

١-المرحلة الأولى ، قبل كتابة المشنا في القرن الثاني ق.م كانت العبرية تكتب بالخط الفينيقي الذي عرف بالقلم العبري القديم ، والذي استمر استخدامه في الأعمال الدنيوية حتى نهاية القرن الثاني الميلادي حيث كانت أشكال حروفه في هذه المرحلة لا تختلف كثيرا عن الحروف الفينيقية القديمة ، ويعرف في هذه المرحلة باسم الخط العبري القديم .

٢-المرحلة الثانية ، في هذه المرحلة ظهر تأثر الرسم العبري بالرسم الآرامي ، تبعا لتأثر اللغة العبرية باللغة الآرامية ، ومن ثم نشا نوع جديد من الرسم اشتهرت تسميته بالرسم العبري الحديث او المربع (الآشوري)، وقد اقتصر في البداية استخدام هذا الرسم الجديد في الشئون الدينية أما فيما عداها فقد ظل اليهود يستخدمون الرسم القديم أمدا طويلا ، ويبدو أن الأبجدية العبرية بالخط المربع قد بدأت بعد عزرا أي بعد السبي البابلي ، وقد لجأ العلماء حين لاحظوا الغموض الذي يكتنف أسباب ترك اليهود لخطهم القديم إلى القول بأن الأمر مرجعه إلى أن اليهود نفروا من السامريين الذين استوطنوا شمال فلسطين بعد الغزو الآشوري لها عام ٧٢٢ق.م ، ثم تهودوا و اتخذوا اللغة

العبرية لسانا واتخذوا الموسوية ديانة لهم و استعملوا الخط العبري القديم كذلك ، غير أن هذا الرأي لا يستند إلى أدلة علمية مؤكدة ، فالسامريون طائفة من طوائف بني إسرائيل شأنها في ذلك شأن الفريزيين و الصدوقيين وغيرهم من الفرق اليهودية ، ونلاحظ أن السامرية المكتوبة نمط آخر منفصل عن العبرية ، فإذا سمعناها مقروءة وهو الأساس في البحث اللغوي تبين لنا أنها لا تعدو أن تكون لهجة الشماليين من بني إسرائيل مع بعض مميزات يختلفون فيها عن اليهود في جنوب فلسطين ، بسبب الأثر الآرامي في الجنوب و الأثر الفينيقي في الشمال ، ولذلك كان أرجح الآراء انه نتيجة لتأثر اللغة العبرية بالتيار الآرامي استبدل اليهود خطهم القديم بالخط الجديد المتأثر بالخط الآرامي .

٣-المرحلة الثالثة ، في حوالي القرن السادس الميلادي أدخل على هذا الرسم (المربع) إصلاح جديد ، إذ استخدمت الألف و الهاء و الياء للرمز إلى أصوات المد الطويلة ، فساعد ذلك على ضبط النطق وحفظ الكلمات من التحريف .

٤-المرحلة الرابعة ، في هذه المرحلة ادخل إصلاح آخر ، إذ اخترع نظام الحركات (الصوائت) للإشارة إلى أصوات المد القصيرة ، واتخذت ثلاث طرق لرسم هذه الحركات ، هي :

أ- الطريقة الطبرية : نسبة إلى مدرسة من العلماء تسمى مدرسة طبرية لنشأتها في مدينة طبرية بفلسطين ، وهذه الطريقة ترمز إلى أصوات المد القصيرة بعلامات تحت الحروف ، وهي أشهر الطرق الثلاث ، ولا يكاد يستخدم غيرها في العصر الحاضر .

ب- الطريقة العراقية او البابلية : نسبة إلى مدارس أحبار اليهود بالعراق ، وهذه الطريقة ترمز إلى أصوات المد القصيرة

بعلامات توضع فوق الحروف ، وقد انقرضت هذه الطريقة بانقراض المدارس البابلية التي أنشأتها حوالي القرن التاسع الميلادي .

ت- الطريقة الفلسطينية : تشير هذه الطريقة إلى أصوات المد القصير بعلامات فوق الحروف كما تفعل الطريقة العراقية ، ولكنها تختلف عنها في صورة هذه العلامات ودلالتها .

والجدير بالذكر أن اليهود يستعملون الآن طريقة أخرى في الكتابة تعرف باسم " خط اليد " إلا أن استعمالها يقتصر على الاستعمالات الشخصية فقط ، وكذلك في العصور الوسطى ظهر خط دقيق وسط بين المربع و اليدوي هو خط الشروح و الحواشي المعروف بأبجدية راشي ، وقد استخدم أحيانا في تدوين العبرية بعض رسوم أجنبية وبخاصة الرسمان العربي و اليوناني .

(شاهد الفيديو)

الفصل الرابع : مناهج البحث اللغوي

أولا : مجالات علم اللغة

يبحث علم اللغة في المجالات التالية:

١- دراسة الأصوات التي تتألف منها اللغة، ويتناول ذلك تشريح الجهاز الصوتي لدى الإنسان، ومعرفة إمكانات النطق المختلفة الكامنة فيه، ووصف أماكن النطق ومخارج الأصوات في هذا الجهاز، وتقسيم الأصوات الإنسانية إلى مجموعات، تظهر في كل مجموعة منها خصائص معينة، ودراسة المقاطع الصوتية، والنبر والتنغيم في الكلام، والبحث عن القوانين الصوتية التي تكمن وراء إبدال الأصوات وتغيرها. كل ذلك يتناوله فرع خاص من فروع علم اللغة، وهو" علم الأصوات "[١] .

٢- دراسة البنية، أو البحث في القواعد المتصلة بالصيغ، واشتقاق الكلمات وتصريفها، وتغيير أبنية الألفاظ للدلالة على المعاني المختلفة، وهو ما يدرس عند العرب باسم" علم الصرف."

٣- دراسة نظام الجملة، من حيث ترتيب أجزائها، وأثر كل جزء منها في الآخر، وعلاقة هذه الأجزاء بعضها ببعض، وطريقة ربطها، وبعض هذه البحوث تدرس عند العرب في" علم النحو " .

٤- دراسة دلالة الألفاظ، أو معاني المفردات، والعلاقة بين هذه الدلالات والمعاني المختلفة، والحقيقي منها والمجازي، والتطور الدلالي وعوامله ونتائجه، ونشوء الترادف والاشتراك اللفظي والأضداد، وغير ذلك. وكذلك دراسة حياة الكلمة عبر العصور اللغوية المختلفة، وما ينتابها من تغير في

---

(١) د. رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص١٠

الصوت والدلالة، وما يطرأ عليها من أسباب الرقي والانحطاط، وعوامل البلى والاندثار[١].

٥- البحث في نشأة اللغة الإنسانية. وقد ظهرت في ذلك عدة نظريات مختلفة، تحاول أن تفسر لنا، كيف تكلم الإنسان الأول هذه اللغة، التي تطورت على مر الأزمان، حتى وصلت إلينا في صورها المختلفة الراهنة. وقد نادى بعض اللغويين المحدثين بإخراج موضوع نشأة اللغة، من موضوعات علم اللغة، أمثال" فندريس Vendryes "الذي يرى" أن غالبية أولئك الذين كتبوا عن أصل الكلام، منذ مائة عام، يهيمون في تيه من الضلال.. وغلطتهم الأساسية، أنهم يواجهون هذه المسألة، من الناحية اللغوية، كما لو كان أصل الكلام، يختلط بأصل اللغات".

فإن اللغويين يدرسون اللغات، التي تتكلم والتي تكتب، ويتتبعون تاريخها، بمساعدة أقدم الوثائق التي تم اكتشافها، ولكنهم مهما أوغلوا في هذا التاريخ فإنهم لا يصلون إلى لغات قد تطورت، وتركت وراءها تاريخا ضخما، لا نعرف عنه شيئا. أما فكرة الوصول إلى إعادة بناء رطانة بدائية، بمقارنة لغات موجودة بالفعل، فسراب خداع [٢] .

٦- علاقة اللغة بالمجتمع الإنساني والنفس البشرية. وهنا يتنازع علم اللغة علمان آخران، هما :علم الاجتماع، وعلم النفس، فهناك بحوث ترمي إلى بيان العلاقة بين اللغة والإنسان في حياته الاجتماعية، وتبين أثر المجتمع وحضاراته ونظمه، وتاريخه وتركيبه وبيئته الجغرافية، في مختلف الظواهر اللغوية، كما أن هناك بحوثا أخرى نفسية، تدرس العلاقة بين الظواهر اللغوية، والظواهر النفسية، بمختلف أنواعها، من تفكير وخيال، وتذكر واسترجاع وعاطفة، وغير ذلك.

---

(١) د. رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص١٠
(٢) المرجع السابق ، ص١١

7- وآخر مجالات هذا العلم، هو البحث في حياة اللغة، وتطورها في نواحي :الأصوات، والبنية، والدلالة، والتركيب وغير ذلك. وكذلك البحث في صراع اللغات، وانقسامها إلى لهجات، وصراع اللهجات بعضها مع بعض، وتكون اللغات المشتركة، وغير ذلك من الأمور [1].

ثانيا : مناهج البحث اللغوي

١- علم اللغة المقارن Comparative Linguistics[2] :

موضوع علم اللغة المقارن دراسة الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية في اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة أو فرع من أفرع الأسرة اللغوية الواحدة١ ولذا يقوم المنهج المقارن في علم اللغة على أساس تصنيف اللغات إلى أسرات، ويقسم اللغويون منذ القرن التاسع عشر اللغات المختلفة إلى مجموعات أو أسرات. فهناك أسرة اللغات الهندية الأوربية التي تضم أكثر لغات المنطقة الممتدة من الهند إلى أوربا، وتضم بذلك عددًا كبيرًا من اللغات التي عرفتها وتعرفها الهند وإيران والقارة الأوربية، وعرف العلماء الأوربيون في القرن التاسع عشر أيضا أن العربية تنتمي إلى أسرة اللغات السامية التي تضم أيضا اللغات العبرية والآرامية والأكادية والحبشية وقد تمكن العلماء من تقسيم اللغات المختلفة إلى أسرات أو فصائل بمقارنة هذه اللغات واكتشاف أوجه التشابه بينها من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية. ووجود جوانب شبه أساسية بين عدد من اللغات معناه أنها انحدرت من أصل واحد مشترك أي من اللغة الأولى التي خرجت عنها هذه اللغات على مر التاريخ. وجد العلماء ظواهر مشتركة في اللغات المنتشرة على مدى القرون بين إيران والهند وأوربا. فعدوا هذه اللغات أسرة لغوية واحدة خرجت

(١) د. رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص١٢
(٢) د. محمود فهمي حجازي : علم اللغة العربية ،ص٣٥

لغاتها عن لغة قديمة مفترضة أطلق عليها العلماء اسم اللغة الهندية الأوروبية Proto – Indoeuropean،ووجد العلماء اللغات العربية والعبرية والفينيقية والأكادية والحبشية تحمل بعض الخصائص الأساسية المشتركة فاستنتج العلماء أنها لغات تشكل أسرة لغوية واحدة وأنها انحدرت من أصل واحد أطلقوا عليه [1]: اللغة السامية الأولى Proto-semitic أو Ursemitisch. ومقارنة اللغات المختلفة المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة موضوع البحث في علم اللغة المقارن. فعلم اللغات السامية المقارن يقارن اللغات الأكادية والأوجاريتية والعبرية والفينيقية والآرامية والعربية الجنوبية والعبرية الشمالية والحبشية، لأن هذه اللغات تكون أسرة لغوية واحدة. وعلم اللغات الهندية الأوربية المقارن يبحث اللغات المختلفة التي تدخل في إطار هذه الأسرة اللغوية. وتضم أسرة اللغات الهندية الأوربية عددًا من الفروع اللغوية أهمها الفرع الجرماني والفرع الروماني والفرع السلافي والفرع الإيراني والفرع الهندي. وقد أدت كثرة لغات هذه الأسرة إلى اهتمام بعض العلماء بالمقارنات اللغوية في إطار فرع واحد من أفرعها الكثيرة. فعلم اللغات الجرمانية المقارن يقوم ببحث اللغات: الألمانية والإنجليزية والنوردية القديمة والدانيماركية وغير ذلك من اللغات واللهجات التي تدخل في هذا الفرع، وعلم اللغات الرومانية المقارن يبحث: اللغة اللاتينية واللغات واللهجات التي خرجت عنها ويطلق عليها اللغات واللهجات الرومانية وتضم اللغات الرومانية الحديثة: الفرنسية والإسبانية والإيطالية ولغة جمهورية رومانيا، إلى جانب عدد كبير من اللهجات. ومقارنة هذه اللغات باللغة اللاتينية وباللاتينية الشعبية هو مجال البحث في علم اللغات الرومانية المقارن، أما علم اللغات السلافية المقارن فيبحث اللغات: الروسية والبولندية والأوكرانية والتشيكية والسلوفاكية

(١) المرجع السابق ،ص٣٦

والصرب وكرواتية والبلغارية، فبيان العلاقات التاريخية بين اللغات التي تكون فرعًا لغويًّا واحدًا أو أسرة لغوية واحدة هو مجال البحث في علم اللغة المقارن

٢- علم اللغة الوصفي: Descriptive Linguistics [١]:

يتناول علم اللغة الوصفي بالدراسة العلمية لغة واحدة أو لهجة واحدة في زمن بعينه ومكان بعينه. ومعنى هذا أن علم اللغة الوصفي يبحث المستوى اللغوي الواحد من جوانبه الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية. لقد ظل العلماء يبحثون اللغات في القرن التاسع عشر وأوائل العشرين بالمنهج المقارن، ولم يكن هناك تصور واضح لإمكان بحث اللغة الواحدة أو اللهجة الواحدة على نحو علمي دقيق. ولكن الباحث السويسري دي سوسير De Saussure أثبت بدراساته في نظرية اللغة ووظيفتها إمكان بحث اللغة الواحدة وصفيًّا أو تاريخيًّا وبذلك بدأ الباحثون في تطوير مناهج البحث لتحليل البنية اللغوية، وزاد اهتمام الباحثين بالمنهج الوصفي في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية. وأصبح المنهج الوصفي المنهج السائد في السنوات العشر الماضية عند أكثر المشتغلين بعلم اللغة الحديث في كل أنحاء العالم. يهتم علم اللغة الوصفي بدراسة بنية أية لغة أو أية لهجة، فكل لغة وكل لهجة تتكون من أصوات لغوية، تنتظم في كلمات، وتتألف منها الجمل، لتعبر عن المعاني المختلفة. والفرق بين اللغة واللهجة فرق حضاري لا ينبع من البنية اللغوية، ولكنه يقوم على أساس مجالات الاستخدام، فالاستخدام في المجالين الثقافي والعلمي يجعل من المستوى اللغوي المستخدم لغة، وأما التعامل المحلي فيمكن أن يكون بهذه اللغة عند المثقفين في بعض الخدمات الراقية ولكنه يكون في أكثر الجماعات اللغوية في العالم باللهجة٢ المحلية. ويمكن تطبيق المنهج الوصفي في تحليل البنية اللغوية لأية لغة أو لهجة.

(١) د. محمود فهمي حجازي : علم اللغة العربية ،ص٣٧

فدراسة أبنية الأفعال في لهجة الكويت أو النظام الصوتي في لهجة عمان أو جملة الاستفهام في النثر العربي في القرن الرابع الهجري موضوعات تدخل في إطار علم اللغة الوصفي. وأية دراسة صوتية أو صرفية أو نحوية أو دلالية لإحدى اللهجات القديمة الوسيطة أو الحديثة تعد دراسة وصفية. وهناك مجالات كثيرة لبحث النقوش والنصوص العربية القديمة بالمنهج الوصفي. فدراسة الأبنية الصرفية التي وردت مستخدمة في مجموعة من النقوش أو في مجموعة من النصوص المنتمية إلى مستوى لغوي واحد تعد دراسة صرفية بالمنهج الوصفي. فدراسة أي جانب من جوانب بناء الجملة في مستوى لغوي واحد تعد دراسة نحوية بالمنهج الوصفي. وفضلا عن هذا فهناك مجال كبير لإعداد المعاجم الصغيرة التي تسجل الألفاظ الواردة أو المستخدمة في أحد مستويات الاستخدام اللغوي مثل إعداد معاجم يسجل كل منها الألفاظ الواردة في ديوان بعينه أو في لهجة واحدة، وكل هذه الجهود تتم بالمنهج الوصفي.

٣- علم اللغة التاريخي Historical Linguistics:

يبحث علم اللغة التاريخي تطور اللغة الواحدة عبر القرون ، فتاريخ اللغة من جوانبها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية يدخل في مجال علم اللغة التاريخي .

ومعنى هذا أن دراسة تطور النظام الصوتي للعربية الفصحى هي دراسة صوتية تاريخية، وتطور الأبنية الصرفية ووسائل تكوين المفردات في العربية على مدى القرون مما يدخل في الدراسة الصرفية التاريخية وتطور الجملة الشرطية أو جملة الاستفهام في العربية الفصحى مما يدخل في الدراسات النحوية التاريخية والمعاجم التاريخية التي يسجل كل منها تاريخ حياة كل كلمة من كلمات اللغة من أقدم نص جاءت به متتبعًا تطور دلالتها على مر التاريخ -

تعد أيضا من علم اللغة التاريخي. فالتاريخ الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي لأية لغة من اللغات يدخل في مجالات البحث اللغوي التاريخي، والنحو التاريخي والمعاجم التاريخية من الأركان الأساسية في علم اللغة التاريخي [1].

ولا يتناول تاريخ اللغات تطورها البنيوي والمعجمي فحسب، بل يبحث أيضًا تطورها وحياتها في المجتمع، فقضية انتشار لغة من اللغات والظروف التي مهدت لذلك وأثر ذلك في بنية اللغة تعد من موضوعات علم اللغة التاريخي، وارتباط اللغة بوظيفتها أو بوظائفها المختلفة في الجماعة اللغوية يؤثر بالضرورة في حياة اللغة. فهناك فرق كبير بين أن تكون اللغة لغة جماعة محدودة، أو أن تكون اللغة الرسمية في دولة عظمى، أو أن تكون لغة حضارة دولية. ودراسة مستويات الاستخدام اللغوي المختلفة في حياة كل لغة وأثر ذلك في بنيتها وأهميتها الحضارية ومكانتها بين اللغات مما يدخل في إطار علم اللغة التاريخي.

٤- علم اللغة التقابلي Contrastive Linguistics:

يقوم تعليم اللغات في رأي الباحثين المعاصرين على عدة أسس من أهمها ما يطلق عليه علم اللغة التقابلي ، وموضوع البحث في علم اللغة التقابلي- أحدث مناهج علم اللغة - هو المقابلة بين لغتين اثنتين أو لهجتين اثنتين أو لغة ولهجة أي من مستويين لغويين معاصرين. ويهدف علم اللغة التقابلي إلى إثبات الفروق بين المستويين، ولذا فهو يعتمد أساسًا على علم اللغة الوصفي. فإذا كان المستويان اللغويان قد وصفا وصفًا دقيقًا بمنهج لغوي واحد أمكن بحثهما بعد ذلك بالمنهج التقابلي. وإثبات الفروق بين المستويين يوضح جوانب الصعوبة في تعليم اللغات، فإذا كان أحد أبناء اللغة الإنجليزية يود تعلم العربية

(١) د. محمود فهمي حجازي : علم اللغة العربية ،ص٣٩

فالصعوبات التي تواجهه ترجع في المقام الأول إلى اختلاف لغته الأم وهي الإنجليزية عن اللغة التي يريد تعلمها وهي العربية. فهناك فروق فردية تجعل بعض الأفراد قادرين على تعلم اللغات الأجنبية أسرع من غيرهم، ولكن علم اللغة التقابلي لا يهتم بهذه الفروق الفردية بل يهتم بالفروق الموضوعية. ولذا فهو يقابل مستويين لغويين اثنين بهدف بحث أوجه الاختلاف بينهما والتعرف على الصعوبات الناجمة عن ذلك. فالصعوبات التي تواجه أبناء اللغة اليابانية في تعلمهم للعربية ليست هي الصعوبات التي تواجه أبناء اللغة الأسبانية في أثناء تعلمهم للعربية. وبالمثل فتعليم اللغات الأجنبية للعرب تختلف صعوباته باختلاف اللغة المنشودة، وهذا مجال علم اللغة التقابلي، أما تحويل هذا إلى برامج تطبيقية مع التوسل بكل الوسائل التعليمية الحديثة فهو موضوع علم اللغة التطبيقي.

٥- علم اللغة العام General Linguistics [١]:

موضوع علم اللغة العام نظرية اللغة، ومناهج البحث فيها١، والأساس النظري لعلم اللغة العام أن اللغة ظاهرة إنسانية عامة تؤدي نفس الوظائف في المجتمعات الإنسانية على اختلافها. وتتألف بنيتها دائمًا من أصوات تنتظم في كلمات تكون الجمل لتؤدي الدلالات المختلفة. ومن هذا المنطلق يهدف علم اللغة العام إلى وضع نظرية شاملة في بنية اللغة وكيفية تحليل هذه البنية إلى عناصرها التي تجعل منها وسيلة التعامل في الجماعة اللغوية. وهذه النظرية ليست مجرد فكر نظري فلسفي ولكنها ثمرة الدراسات المنهجية والتطبيقية في اللغات المختلفة، فهي نتاج التحليل العلمي لأبنية لغوية مختلفة ونتاج معرفة السمات الأساسية التي توجد في كل لغة من اللغات الإنسانية والتي لا بد من وجودها لكي تؤدي اللغة وظيفتها.

---

(١) د. محمود فهمي حجازي : علم اللغة العربية ،ص٤٣

ويقوم علم اللغة العام أيضا برسم الأسس المنهجية للتحليل اللغوي من جوانبه الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية فإذا كانت أصوات اللغات تبدو لأول وهلة مختلفة متنافرة فإن كل أصوات اللغات تصدر من الجهاز الصوتي الإنساني وهو مشترك عند كل البشر، ولذا فهناك أصوات كثيرة تتكرر في أكثر اللغات، وهناك وسائل محددة تتوسل بها اللغات المختلفة للتمييز بين أصواتها. فالتعرف على هذه الجوانب والاستفادة من خبرات الباحثين في اللغات المختلفة لوضع نظرية شاملة في بنية اللغة مما يدخل في علم اللغة العام، فهناك وسائل محددة تتبعها اللغات المختلفة للتمييز بين الكلمات في جمل لأداء المعاني المختلفة. فكل اللغات مثلا بها جمل شرطية وجمل استفهامية ...إلخ ، والتعرف على هذه الوسائل وعلى منهج تحليل اللغة من هذه الجوانب جزء من علم اللغة العام. وهناك معاجم كثيرة ألفت للغات مختلفة، بلورت في أثناء إعدادها مناهج دقيقة في العمل المعجمي، وهذه الأسس المنهجية الناجمة عن العمل التطبيقي جزء من علم اللغة العام [1].

وفضلا عن هذا يهتم علم اللغة العام ببيان طبيعة العلاقات المؤثرة في حياة اللغة في المجتمعات الإنسانية، فاللغة لا تعيش في فراغ، بل لا بد لها من جماعة تستخدمها حتى تصبح لغة، وهنا يهدف علم اللغة العام إلى إيضاح الجوانب الحضارية المختلفة التي تؤثر في حياة اللغة، ويحاول إيضاح عوامل انتشار اللغات وموتها وعوامل التجديد اللغوي ومشكلات الازدواج اللغوي وغير ذلك من المشكلات التي تتكرر في مجموعات إنسانية مختلفة.

(شاهد الفيديو)

(١) المرجع السابق ،ص٤٤- ٤٥

الفصل الخامس : علم الأصوات اللغوية

الأصوات اللغوية :

شغل اللغويون منذ القدم بالنظر في الأصوات اللغوية، ولكن ما أوصلهم إليه نظرهم لا يبلغ من الدقة والإتقان ما وصل إليه المحدثون في أوروبا وأمريكا وروسيا. ونقدم فيما يلي عرضا عاما للمحاولات القديمة التي تضمنت ملاحظات عن أصوات بعض اللغات [1]:

أ- وإن أقدم ما أثر من ذلك كان لعلماء مجهولين، فأقدم صور الكتابة أو الخط يتضمن كل منها إدراكا لأصوات لغة من اللغات؛ إذ تحاول أن تمثلها بعلامات كتابية منظورة.

ب- وقد أثر عن اليونان وعن تلامذتهم الرومان وعن الهنود، وعن العرب ملاحظات صوتية كثيرة.

والمادة الصوتية المأثورة عن اليونان نجدها في أقوال متناثرة في محاورات أفلاطون، وفي الشعر والخطابة لأرسطو، ونجد أكثرها في كتابات نحوييهم مثل ديونيزيوس ثراكس، ودونيزيس هاليكارناسوس ، أما الرومان، وهم مقلدون في هذا الميدان كما قلدوا اليونان في أكثر المسائل الفكرية والثقافية، فنجد جانبا كبيرا من المادة الصوتية المأثورة عنهم في كتابات نحوييهم مثل بريسكيان، وترنتيانوس ، وماوروس فيكتورينوس .

ويلاحظ على الآراء الصوتية لقدماء اليونان والرومان أنها تقوم في جملتها على ملاحظات الآثار السمعية التي تتركها الأصوات في الأذن، وهي بهذا تختلف عن الآراء الصوتية لقدماء الهنود والعرب الذي أدركوا الأسس "الفسيولوجية" في تكوين الأصوات المختلفة.

---

(١) محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص٧٥

لم يفطن اليونان إلى تقسيم أصوات لغتهم إلى القسمين الرئيسيين وهما " الأصوات المهموسة " و" الأصوات المجهورة " ، كما فطن إلى ذلك الهنود والعرب، معروف أن من الأصوات ما يكون الوتران الصوتيان في نطقه متباعدين بحيث إن الهواء الخارج من الرئتين لا يتذبذب، أو يتذبذب تذبذبا ضئيلا، فلا يحدث نغمة موسيقية، وذلك كالتاء والثاء والسين، هذا القسم سماه العرب " مهموسا ".

بينما يحدث في نطق أصوات أخرى أن يتقارب الوتران الصوتيان بحيث يذبذبهما في الهواء الخارج من الرئتين محدثا بذلك نغمة موسيقية"، وذلك كالدال والذال والزاي، هذا القسم الثاني سماه العرب " مجهورا " ، إن الذي صنعه اليونان هو أنهم صنفوا جانبا من أصوات اللغة اليونانية، وهو الأصوات " المغلقة "، على أساس " شدة النفس " وهكذا أصبحت الأصوات التي يصدق عليها أنها " مهموسة " مقابلة في تصنيفهم للأصوات " الانفجارية النفسية " بدلا من أن تكون مقابلة لما يصدق عليها أنها "مجهورة" متوسطة بين " المهموسة " وبين " الانفجارية النفسية " [1].

أما تصنيف الأصوات إلى "صامتة " وإلى " صائتة " فقد أدركه من اليونان والرومان والهنود والعرب. نمثل للصامتة أو "للصوامت" بكل الأصوات العربية فيما عدا " الحركات " و"حروف المد واللين"، أما الحركات وحروف المد واللين "كألف "ما" وواو "ذو" وياء "في" فنحن نسميها " صائتة " أو "صوائت". وقد أطلق كل من اليونان والهنود اسما خاصا على كل من هاتين الطبقتين، فاليونان قد سموا ما نعرفه بالصامتة Sumphena، وسموا ما نعرفه بالصائتة phoneenta،أما العرب فهم، وإن أدركوا أساس هذا التقسيم، إلا أنهم لم يطلقوا على كل قسم اسما يعرف به.

(١) المرجع السابق ،ص٧٦

ويلاحظ أن اليونان والهنود جميعا قد عرفوا "الصامت" بأنه الصوت الذي لا يتأتى نطقه دون " صائت "، أي أنه "غير مستقل"، بل معتمد على غيره. وعرفوا " الصائت " بأنه الصوت الذي يمكن نطقه وحده فهو مستقل، وهذا التعريف، وإن كان صادقا على أصوات اللغة اليونانية، وعلى أصوات اللغة السنسكريتية، إلا أنه لا يصلح أساسًا عامًّا تصنف بمقتضاه أصوات اللغات جميعا، ففي بعض اللغات كلمات مكونة من صامت واحد، أو صامتين، أو من صامت، وذلك مثل " f " في التشيكوسلوفاكية فهي كلمة، مثل " tz " في الصينية، ومثل " Krk " في اللغة الكرواتية [1].

وقد صنف كل من اليونان والرومان والهنود والعرب أصوات لغتهم حسب " موضع النطق " أو حسب "المخارج" إذا استعملنا المصطلح العربي القديم. ولكن تصنيف اليونان وتصنيف الرومان يقومان على ملاحظة الآثار السمعية للأصوات. لا على أسس فسيولوجية كالتصنيفين الهندي والعربي. فالتصنيفان اليوناني والروماني تنقصهما الدقة الواجبة في هذا المجال، أما التصنيفان الهندي والعربي فيقومان على فحص وظائف أعضاء النطق، وعلى تحديد مواضعها بالنسبة لكل صوت، وعلى درجة اتصالها... إلخ. وثمة تشابه كبير بين تصنيف الهنود لأصوات السنسكريتية حسب " المخارج " وبين تصنيف العرب لأصوات العربية على هذا الأساس، ومعروف أن التصنيف الهندي أقدم كثيرا من التصنيف العربي. ومن مظاهر التشابه أن الهنود يرتبون الأصوات ابتداء من أقصاها في الحلق إلى الشفتين ثم يذكرون الأصوات الأنفية، وهذا الترتيب هو الذي نجده عند الخليل بن أحمد الفراهيدي، وعند سيبويه، وهو الذي سار عليه المؤلفون العرب من بعد. وقد أثر عن كل من اليونان والرومان والهنود والعرب تصنيف لأصوات

(١) محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص٧٧

لغتهم حسب " طريقة النطق "على خلاف بينها في التفصيلات وفي الأسس التي يقوم عليها كل منها.

فاليونان قسموا ما نسميه بالصوامت إلى " أشباه صائتة " وإلى "مغلقة "،وقد اعتبروا " أشباه الصائتة " متوسطة بين " الصوائت " و" المغلقة "، وعلى أساس أن " أشباه الصائتة "، وإن لم تكون "مقطعا " دون الاستعانة بصائت، إلا أنها على أقل يمكن أن تنطق وحدها.

أما الهنود فهم يقسمون "الصوامت" إلى مغلقة" و"أشباه صائتة" و" ضيقة "، وقد أقاموا هذا التقسيم على أساس صوتي هو درجة تقارب أعضاء النطق عند نطق أصوات كل قسم من هذه الأقسام.

أما تصنيف العرب لأصوات العربية حسب ما نسميه الآن "طريقة النطق" فهو ذلك التصنيف الذي يرجع إلى سيبويه،والذي توضع الأصوات العربية على أساسه في ثلاث طبقات هي " الشديدة " و" الرخوة " و"ما بين الشديدة والرخوة " و "الشديدة" في هذا التصنيف هي الهمزة والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء والدال، والباء والرخوة هي الهاء، والحاء والغين، والخاء، والشين، والصاد والضاد، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال، والفاء. أما "ما بين الشديدة والرخوة" فتضم الهمزة، واللام، والميم، والراء، والواو، والألف " كألف " ما " [1].

والجدير بالذكر هنا أن الآراء الصوتية المأثورة عن الهنود، وأن النحو الهندي عامة، قد أفادا الدراسة اللغوية الحديثة أيما فائدة، ومعرفتا بالسنسكريتية لا تعدو القرن الثامن عشر الميلادي عندما كشف عنها سير وليم جونز الإنجليزي، لقد كان الكشف عن السنسكريتية حدثا خطير الشأن في تطور الدراسات اللغوية من وجوه كثيرة. فهذا الكشف كان عاملًا هامًّا في إدراك

(١) المرجع السابق ،ص٧٨

العلاقة بين اللغات الهندية والإيرانية من ناحية،وبين بعض اللغات الأوروبية كاليونانية واللاتينية وما تفرع عنها من ناحية أخرى، وهكذا تطورت فكرة " العائلات اللغوية " تطورا كبيرا، ولما كشفت السنسكريتية اطلع العلماء الغربيون على آثار نحوية وصوتية لنحاة الهند تبلغ غاية من الدقة في وصف الأصوات بوجه خاص، فاهتمام الهنود بكتبهم المقدسة قد دفعهم إلى وصف لغتهم وصفا دقيقا ولا سيما من الناحية الصوتية [1].

أما العرب فقد أوردنا شيئا من آرائهم الصوتية فيما سبق من كلام، ونكتفي هنا بأن نقول إن كثيرا من ملاحظاتهم الصوتية تستمد من مصادر مختلفة: تستمد من المحاولات التي قاموا بها لوضع الكتابة العربية،وللإصلاحات الكثيرة التي أدخلوها عليها، وذلك كالإصلاح المنسوب إلى أبي الأسود الدؤلي والخاص بوضع نقط تمثل الحركات القصيرة والتنوين، وكان ذلك قبل وضع النحو العربي، وكالإصلاحات التي تلت هذا والتي أضافت إلى الكتابة العربية علامات لخصائص صوتية أخرى. وفي مقدمة كتاب " العين" للخليل بن أحمد، على خلاف في نسبته إليه، وإن كنا نرجح أن المقدمة من وضعه أو من إيحائه، تصنيف للأصوات العربية حسب موضع النطق، أحس الخليل أنه لا بد كي يضع معجما جامعا لمفردات اللغة العربية، أن يرتب مواده على أساس معين، وقد اختار ترتيب المواد على أساس " الحروف " التي تتكون منها، واختار أن ترتب " الحروف " على أساس مخارجها، فبدأ من أقصاها في الحلق متقدما إلى الشفتين، ومن المعروف أنه سمى معجمه " بالعين " لأنه كان يرى أن العين هو أقصى الأصوات مخرجا في الحلق، وهذا الرأي خاطئ بطبيعة الحال، فهمزة القطع أقصى مخرجا من العين، وقد أدرك هذا تلميذه سيبويه.

---

(١) المرجع السابق ،ص٧٩

وأيًّا ما كان فإن التصنيف المنسوب إلى الخليل لا يبلغ من الدقة والشمول ما يتسم به تصنيف سيبويه لأصوات العربية حسب "المخارج"، ولم يقتصر سيبويه على هذا بل صنف الأصوات على أسس أخرى -كما ذكرنا- وأشار إلى الكثير من الخصائص الصوتية المختلفة.

أورد سيبويه تصنيفه للأصوات العربية ووصفه لها في باب الإدغام، ومن الغريب أن سيبويه، وهو من تلامذة الخليل، لم يشر في كتابه إلى تصنيف الخليل، وهذا أمر يدعو إلى التساؤل. إن تصنيف سيبويه ووصفه للأصوات العربية دقيقان كل الدقة بالنسبة إلى عصره، وقد تناقلتهما المؤلفات العربية من بعده، وهما يذكراننا -كما يذكرنا تصنيف الخليل- بكثير مما ورد في كتب الهند [1].

ولا شك في أن كثيرا من "أصول" النحو العربي تقوم على أسس صوتية وذلك كالتصور الخاص بـ"الحرف"، و"الحرف المتحرك" و"الحرف الساكن"، وكمعاملة "حروف المد واللين" معاملة "السواكن" -مع التسليم بأنها من الطبقة التي ندعوها حديثا "الصوائت"، وليست من تلك التي نطلق عليها "الصوامت"- وكالعلاقة التي تصورها النحاة بين "الحرف" و"الحركة"، وبينه وبين "السكون" ... إلخ، وكتفسير كثير من الآثار "الإعرابية" التي تطرأ على بعض الكلمات ... إلخ.

أما العروض كما وضعه الخليل فهو يمدنا بمعلومات صوتية هامة عن تصور " المقطعية " العربية، فالخليل لم يقم نظامه العروضي على أساس الحرف -متحركا أو ساكنا- ليس غير ، وإن كان الحرف المتحرك في العربية يكون "مقطعا" بل لجأ إلى نظام من "الأسباب" و" الأوتاد " و" الفواصل"

(١) محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص٨٠

اعتبرها العناصر التي تشترك في تكوين "التفاعيل. ولا يسمح هذا المجال بالإفاضة في بيان جوهر تصورات الخليل.

وفي ما يعرف بـ" علم الصرف " معلومات صوتية، فقد حاول الصرفيون - محاولاتهم الأولى ماثلة في كتابه سيبويه- أن يصفوا ما يطرأ على بنية الكلمة العربية المعربة من تغيرات: إما في تصرفاتها المختلفة من إفراد وتثنية وجمع، وتذكير وتأنيث، وتصغير، ومبالغة، ونسب، وماض ومضارع وأمر ... إلخ"، وإما عند وقوعها في درج الكلام في سياقات صوتية معينة " كالإدغام، والوصل " إلى غير ذلك من المباحث الصرفية.

وفي كتب " اللغة " وفي مقدمات معظم المعاجم العربية معلومات عن أصوات اللغة العربية، وإن يكن أكثرها ترددا لكلام الخليل وسيبويه أو لكلامهما معا [1].

(١) المرجع السابق ،ص٨٠

علم الأصوات

مع أن النظم اللغوية مستقلة إلى حد بعيد عن الوسيلة التي تتحقق من خلالها فإن الأداة الأساسية أو الطبيعية للغات الإنسانية هي الأصوات، ولهذا السبب كانت دراسة الأصوات أكثر أهمية -في علم اللغة- من دراسة الكتابة أو الإيماءات أو أي وسيلة أخرى سواء أكانت موجودة بالفعل أم موجودة بالقوة، ولا يهتم اللغوي بالأصوات في حد ذاتها ولا بالإطار الكلي لها، إنه يهتم بالأصوات التي تصدرها أعضاء النطق الإنسانية بقدر ما يكون لهذه الأصوات دور في اللغة، ودعنا نشير إلى هذا الإطار المحدود من الأصوات بالوسيلة الصوتية، ونشير إلى هذا الإطار المحدود من الأصوات بالوسيلة الصوتية، ونشير إلى الأصوات الفردية داخل هذا الإطار بأصوات الكلام، ويمكننا أن نعرف علم الأصوات "phonetics" [1]الآن بأنه دراسة الوسيلة الصوتية [2].

ويمكن دراسة الوسيلة الصوتية من وجهات نظر ثلاث على الأقل: النطق، والتجريب، والسمع، فعلم الأصوات النطقي يبحث أصوات الكلام ويصنفها من جهة طريقة إنتاج أعضاء النطق لها، ويبحثها ويصنفها علم الأصوات التجريبي من جهة الخصائص الفيزيائية للموجات الصوتية التي يحدثها نشاط أعضاء النطق، وتنتقل عبر الهواء من المتكلم إلى المستمع، ويبحثها ويصنفها علم الأصوات السمعي من جهة الطريقة التي تستقبل بها أصوات الكلام

---

(١) أو علم الأصوات الفيزيائي "aconstic phonetics " فرع من علم الأصوات يبحث الخصائص الفيزيائية للكلام حسبما ينتقل من الفم إلى الأذن، ويعتمد كلية على الوسائل الفنية الآلية في البحث، ويمد التحليل الفيزيائي عالم الأصوات بالحقائق الفيزيائية للكلام، بيد أنه قد يتعارض أحيانا التحليل السمعي والتحليل الفيزيائي فعلى سبيل المثال قد يسمع المرء لحن الكلام صاعدا بينما يظهر التحليل الفيزيائي ثبات التردد الأساسي للصوت وفي مثل هذه الحالات على عالم الأصوات أن يقرر أي الشواهد هي التي ستأخذ الاهتمام الأكبر.

(٢) جون ليونز : اللغة وعلم اللغة ، ص٨٨

وتميز من قبل أذن المستمع ومخه، وأقدم هذه الفروع تأسيسًا وأكثرها تطورا حتى عهد قريب علم الأصوات النطقي [1].

ومع ذلك فهناك حقائق عديدة اكتشفها علم الأصوات التجريبي وعلم الأصوات السمعي أو صدقا عليها وبالأخص الأول الذي شهدت السنوات الخمسة والعشرون أو الثلاثون الماضية تقدما عظيما له فلا يستطيع أن يتجاهله أحد ممن يهتمون باللغة اهتماما جادا، وربما كانت أكثر هذه الحقائق أهمية أن تكرار ما يمكن أن يسمع على أنه قول واحد يكون بمثابة تطابق توافقي وليس تطابقا فيزيائيا "أي: تجريبيا" فالتطابق الصوتي "بخلاف التطابق الفونولوجي كما سنرى في القسم التالي" نموذج نظري، وفي الممارسة العملية لا يمكن لأصوات الكلام التي تصدرها الكائنات الإنسانية- حتى أولئك الذين تلقوا تدريبا صوتيا عاليا- إلا أن تقترب من هذا النموذج بدرجة أو بأخرى، فالتشابه الصوتي وليس التطابق الصوتي هو المعيار الذي نمارس به عملنا في التحليل الفونولوجي للغات، والتشابه الصوتي متعدد الأبعاد من وجهات النظر النطقية، والتجريبية، والسمعية، ولنأخذ ثلاثة أصوات كلامية z وy وx فربما كانت x أكثر شبها، y من z في بعد معين لكنها أكثر شبها بـ z في بعد آخر.

---

(١) علم الأصوات النطقي "articulatory phonetics" فرع من علم الأصوات يدرس الطريقة التي تنطق بها أعضاء النطق الأصوات اللغوية، وقد استمد هذا الفرع كثيرا من مصطلحاته من علم التشريح وعلم النفس ويشار إليه أحيانا بعلم الأصوات الفسيولوجي "physiological phonetics"، وقد حدث تقدم كبير في تطوير الوسائل الفنية الآلية لملاحظة وقياس نشاط أعضاء النطق مثل اللسان، والشفتين، وسقف الحنك، وحركة الأحبال الصوتية، ومن هذه الوسائل الفنية الآلية الحنك الصناعي "البلاتوجراف" الذي يمثل دور اللسان في مقابل الحنك، والقياسي الهوائي الألكتروني الذي يقيس الانسياب النسبي للهواء من الفم إلى الأنف، والألكتروميجراف "electromyograhpy" لقياس الحركة العضلية أثناء الكلام، ويقدم استخدام هذه الوسائل الآلية فهما تفصيليا أفضل.

وقد أكد علم الأصوات التجريبي الحقيقة التي أسسها علم الأصوات النطقي التي تذهب إلى أن الجمل المنطوقة التي تعد إشارات فيزيائية تنتقل عبر الهواء ليست تتابعات صوتية منفصلة، ويصدر الكلام بإصدار الأصوات سلاسل متصلة، ولا توجد فجوات بين الأصوات التي تتكون منها الكلمات المنطوقة كما لا توجد وقفات بين الكلمات أيضا "فيما عدا تلك الأحوال التي يتلعثم فيها المتكلم بشكل مؤقت أو عندما يتبنى أسلوبا خاصا في الإلقاء للإملاء أو لأي غرض آخر"، وينقسم الكلام المتواصل إلى تتابعات من الأصوات الكلامية من خلال الانتقال المميز الظاهر للعيان بدرجة أو بأخرى بين حالة إشارية ثابتة نسبيا وحالة أخرى سابقة أو لاحقة ثابتة نسبيا كذلك، وهذه النقطة سنضرب لها أمثلة فيما يلي من وجهة نظر نطقية، ومن الأهمية أن نذكر -مع ذلك- أن التجزئة على أساس المعيار التجريبي البحت تعطي دائما نتائج مختلفة تماما عن التجزئة التي تنفذ على أساس المعيار النطقي البحت أو المعيار السمعي البحت [1].

واندماج الأفرع الثلاثة الخاصة بعلم الأصوات ليس أمرا سهلا، وأكثر الأمور أهمية وإثارة من حيث المبدأ أن إحدى نتائج علم الأصوات التجريبي أنه لا توجد علاقة متبادلة مباشرة يمكن تأسيسها بين بعض أكثر الأبعاد النطقية وضوحا في الكلام وبين الحدود التجريبية المماثلة مثل الذبذبة واتساع الموجات الصوتية، وحتى نجعل هذه النقطة أكثر عمومية فيما يتعلق بالأفرع الثلاثة الخاصة بعلم الأصوات نقول إن تصنيفات علم الأصوات النطقي، وعلم الأصوات التجريبي، وعلم الأصوات السمعي لا تتطابق بالضرورة، فعلى سبيل المثال ما يمكن أن يبدو اختلافات نطقية وسمعية واضحة بين أنواع مختلفة من الصوامت دعنا نقول بين أصوات الـ p، وأصوات الـ T

(١) جون ليونز : اللغة وعلم اللغة ، ص٩٠

وأصوات الـ K لا تبدو بشكل واضح ملمحا مفردا، أو مجموعة من الملامح التي يمكن تمييزها في التحليل التجريبي للإشارات التي تحتويها، والبعدان السمعيان لطبقة الصوت ودرجته يرتبطان بعلاقة متبادلة بالحدين التجريبيين للتردد والقوة إلا أن العلاقة المتبادلة بين الطبقة والتردد من ناحية، والدرجة والقوة من ناحية أخرى لا يمكن عرضها من خلال نسبة ثابتة تصدق على الأصوات الكلامية جميعها التي تتنوع وفق الأبعاد ذات الصلة. وهذا لا يعني أن التصنيفات الخاصة بأحد الفروع الصوتية الثلاثة أكثر أو أقل تعويلا أو أكثر أو أقل علمية بصورة جوهرية إذا ما قورنت بالتصنيفات الخاصة بالفرعين الآخرين، ويجب أن نتذكر أن التكلم والاستماع ليسا نشاطين مستقلين، فكلاهما يتضمن تغذية مرتجعة من الآخر، ومن الملاحظات العامة أن الفرد الذي لا يكترث بما ينطقه يئول حديثه إلى الفساد، ويرجع ذلك إلى أننا عادة نراقب ما ننتجه من كلام مثلما نصدر هذا الكلام [1]، وكثيرا ما يحدث بلا وعي أن نصدر الأحكام الضرورية على الإطار الخاص بما يمكن أن نعده الجهاز النطقي كما تخبر التغذية المرتجعة من عملية الملاحظة هذه المخ بأن المعايير السمعية لا تتفق معها، وتشتمل الإشارة التجريبية على كل المعلومات ذات الصلة باللغة، وتشتمل كذلك على قدر من المعلومات غير ذات الصلة بها، وأكثر من ذلك فإن المعلومات التجريبية ذات الصلة باللغة يجب أن تفسرها الأجهزة الخاصة بالسمع والنطق عند الإنسان والتي يتحكم فيها مخه، ويبدو أن الطفل حديث الولادة موهوب بشكل فطري بقابلية التركيز على أنواع معينة من المعلومات السمعية وإهمال أنواع أخرى، وأثناء اكتساب اللغة يستكمل الطفل مقدرته على إنتاج الأصوات التي تذكر في الكلام الذي يسمعه يدور من حوله ويستكمل كذلك مقدرته على تمييزها، ويقوم بتهذيب أداءه النطقي، وأداءه السمعي بملاحظة الإشارات

(١) المرجع السابق ،ص ٩٢

التجريبية التي ينتجها بنفسه، وتوجد حاسة لدى الطفل تمكنه في الخطوات المعتادة لاكتساب اللغة ، والتي يجب أن تتم بدون مساعدة من أجهزة علمية أو تدريبات خاصة وفي إطار محدود من الوسيلة الصوتية من أن يكون الممارس الكفء في الأفرع الثلاثة لعلم الأصوات، ولا يستطيع اللغوي حتى الآن إلا أن يقدم وصفا وتفسيرا غير كاملين للقدرة الإدماجية العالية المهارة التي تكتسبها الغالبية العظمى من البشر في فترة الطفولة، وتمارسها خلال حياتها الناطقة. (شاهد الفيديو)

علم الأصوات النطقي

أشرنا إلى أن اللغة المنطوقة "أصوات" تكون نظاما خاصا، ويحدثها جهاز النطق الإنساني. هذه "الأصوات" "الكلامية"١ تحدث في الفم، والأنف، والحلق، وتنظم في كلمات وعبارات لتأدية الوظائف التي على اللغة أن تقوم بها.

ومن ثم فإن أول واجب على دارس الأصوات، هو معرفة ما يسمى "أعضاء النطق" من حيث تكوينها، ومن حيث كيفية استعمالها في تكوين الأصوات الكلامية، أي من حيث وظائفها.

ونرى أن نذكر مما قلناه أن الأعضاء التي جرى الاصطلاح على تسميتها " أعضاء النطق " لا تنحصر وظيفتها في إحداث الأصوات، بل إن لها وظائف أخرى: كالذوق للسان، وكسر الطعام وطحنه للأسنان والأضراس، والشم للأنف، والتنفس لها وللرئتين، إلى غير ذلك مما لا يدخل في دراستنا، فتسمية

هذه الأعضاء " أعضاء النطق " تسمية من وجهة نظر علم الأصوات اللغوية [1].

إن أول واجب على دارس الأصوات اللغوية هو معرفة أعضاء النطق تكوينا ووظيفة، ولكن هذا لا يعني أنه في حاجة إلى الإلمام بكل التفصيلات التي يقدمها لنا علم "وظائف الأعضاء" وعلم "التشريح" عن أعضاء النطق؛ إذ إن الكثير من هذه المعلومات لا يؤدي له نفعا، ولكن هناك قدرا ضروريا من المعرفة بهذه الأعضاء عليه أن يحصله.

هذه المعرفة هي حجر الأساس لوصف الأصوات وصفا علميا وتصنيفها. وليس المقصود أن تكون هذه المعرفة نظرية، أعني معرفة تقتصر على حفظ أسماء أعضاء النطق، ووصف تكوينها، ووظائفها، بل المقصود أن على دارس الأصوات أن ينتقل من هذا إلى أن تكون له، بعد طول مران، قدرة على إحداث أصوات، أي لغة، أو كما كان يقول العرب القدماء على " ذوق" الحروف " و "الحروف " هنا تعني أصوات اللغة ". هذه " الأصوات الكلامية " تنتجها حركات لأجزاء من الفم والأنف والحلق والرئتين. وليست أعضاء النطق جميعا متحركة، أي قابلة لأن تتحرك، بل معظمها ثابت وقليل منها هو القابل للحركة كاللسان والشفتين. وإذا توصل إنسان إلى السيطرة على " الأنواع العامة " للحركة التي تقوم بها هذه الأجزاء، وعلى " الارتباطات " التي يمكن أن تكون بين هذه الحركات، فإنه قادر إذًا على نطق أصوات أية لغة؛ لأن أصوات اللغات جميعا تحدثها ارتباطات معينة بين هذه الأعضاء.

(١) محمود السعران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص ١١٠

وإذا توصل إلى خلق وسائل كتابية لتمثيل هذه الحركات، فإنه إذن قادر باصطناعها أن يمثل، كتابة، أصوات أية لغة، وهذه الوسائل نجدها فيما يسمى "بالكتابة الصوتية " Phonetic Transcription وهكذا فإن حرف "b" يمثل حركة للرئتين تخرج الهواء إلى أعلى وإلى الخارج خلال الحلق، وخلال الوترين الصوتيين متذبذبين، وإلى الفم، ويبين هذا الرمز كذلك أن "مجرى الهواء" قد آنس في الفم اعتراضا آنيا ولكنه اعتراض تام ناتج عن غلق ممر الهواء إلى الأنف، وغلق ممره خلال الفم عن طريق غلق الشفتين.
٢- والآن نأخذ في التعريف بأعضاء النطق الرئيسية حتى نألف أسماءها العربية [١].

١- "الحنك"، "أو "سقف الحنك"أو "سقف الفم"أو "الحنك الأعلى" ، يقسم الحنك من وجهة نظر الأصوات اللغوية إلى ثلاثة أقسام:
١- "مقدمة الحنك"أو "اللثة".
٢- "وسط الحنك"أو "الحنك الصلب".
٣- "أقصى الحنك" أو "الحنك اللين".
وإليك تعريفا مبسطا بكل قسم من هذه الأقسام:
١- "مقدم الحنك" هو ذلك القسم من سقف الحنك الواقع خلف "الأسنان العليا" مباشرة وهو "محدب" ومحزز،أما الحد الفاصل بين اللثة وبين ما يليها من الحنك الصلب فهو ذلك الموضع من سقف الحنك الذي ينتهي فيه التحديب ويبدأ التقعر، واللثة من أعضاء النطق الثابتة.

(١) المرجع السابق ،ص١١١

٢- أما بقية الحنك فهو يقسم كما ذكرنا إلى "وسط الحنك" أو "الحنك الصلب"، و"أقصى الحنك" أو "الحنك اللين". ويمكن أن يدرك الفارق بين صلابة الجزء الصلب، وليونة الجزء اللين بالنظر في مرآة، أو باللمس باللسان، أو بالإصبع، الحنك الصلب ثابت لا يتحرك، أما الحنك اللين فهو قابل للحركة،و قد يرفع الحنك اللين، وقد يخفض، فإذا رفع إلى أقصى ما يمكن فإنه يمس الجدار الخلفي للفراغ الحلقي، وهكذا يمنع مرور الهواء، الخارج من الرئتين، عن طريق الأنف. وكثير من أصوات اللغة العربية يتكون عندما يتخذ الحنك اللين هذا الموضع، مثل أصوات الباء، والتاء والسين، والصاد ... إلخ.

٣- أما إذا خفض الحنك اللين فإن الطريق أمام الهواء الخارج من الرئتين يكون مفتوحا لكي ينفذ من الأنف، ولا يتم نطق النون والميم العربيتين إلا عندما يتخذ الحنك اللين هذا الموضع. أما نهاية الحنك اللين فتسمى "اللهاة"، ولها دخل في نطق القاف العربية.

" الفراغ الحلقي" ، أو "التجويف الحلقي" ، هو الفراغ الواقع بين أقصى اللسان وبين الجدار الخلفي للحلق.

وفي أسفل الفراغ الحلقي تقع "الحنجرة"، وهي تكوِّن الجزء الأعلى من "القصبة الهوائية"وهي الممر المؤدي إلى الرئتين(١).

أما "الغلصمة " فهو نوع من اللسان واقع فوق الحنجرة بصورة خاصة لتحمي الحنجرة خلال عملية البلع، ولكن يبدو أنه لا دخل لها في تكوين أي صوت كلامي.

---

(١) المرجع السابق، ص ١١٣

الوتران الصوتيان، أو " الحبال الصوتية ":

وهما أشبه بشفتين منهما بوترين، ولكن جرى الاصطلاح على هذه التسمية، وهذا الوتران ممتدان بالحنجرة أفقيا من الأمام إلى الخلف، وهما من أعضاء النطق المتحركة. ولهما القدرة على اتخاذ أوضاع متعددة تؤثر في الأصوات الكلامية، وهذه الأوضاع أربعة هي:

١- الوضع الخاص بالتنفس.

٢- وضعهما حالة تكوين " نغمة موسيقية ".

٣- وضعهما حالة " الوشوشة ".

٤- وضعهما حالة تكوين "همزة القطع".

والآن نتكلم عن كل وضع من هذه الأوضاع بشيء من التفصيل:

١- وضع الوترين حالة التنفس:

قد ينفرج الوتران الصوتيان مفسحين مجالا للنفس أن يمر خلالهما دون أن يجابه أي اعتراض، وهذا ما يسمى في الاصطلاح الصوتي بـ"الهمس" "مقابل "الجهر".

وتسمى الأصوات التي تنطق عندما يتخذ الوتران هذا الوضع الأصوات " المهموسة "، ويتخذ الوتران الصوتيان هذا الوضع عند نطق "الصوامت" العربية الآتية: التاء، والثاء، والحاء، والخاء، والسين، والشين، والصاد، والطاء، والفاء، والقاف والكاف، والهاء [1].

٢- وضع الوترين الصوتيين عند إصدارهما نغمة موسيقية:

يتضام الوتران الصوتيان بشكل يسمح للهواء المندفع خلالهما أن يفتحهما ويغلقهما بانتظام وبسرعة فائقة، وهذا يسمى تذبذب الوترين الصوتيين، و هذه الذبذبة تحدث نغمة موسيقية تختلف " درجة " و " شدة " باختلاف عدد الحركات الإيقاعية ومداها، و هذه النغمة الصوتية تسمى في الاصطلاح

(١) محمود السعران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص ١١٤

الصوتي " الجهر" كما تسمى الأصوات التي تصحبها هذه النغمة " الأصوات المجهورة "، والأصوات العربية المجهورة هي "الصوائت" أي ما يسميه نحاة العربية "الحركات"، و"حروف المد واللين" مقصودا بها الألف والواو والياء في مثل قال، صبور، بديع" و"الصوامت" الآتية: الباء، الجيم، الدال، الذال، الراء، الزاي، الضاد، الظاء، الغين، اللام، الميم، النون، الواو " في مثل "وجد"، الياء " في مثل "يرى".

٤- أما وضع الوترين حالة " الوشوشة " :

فهو لا يهمنا كثيرا في دراسة الكلام الطبيعي.

٤- وضع الوترين الصوتيين عند تكوين همزة القطع: قد ينطبق الوتران الصوتيان انطباقا تاما فلا يسمحان للهواء بالمرور إلى الفراغ الحلقي مدة انطباقهما، وهذا هو وضعهما حالة "قطع النفس". وعندما ينفرج الوتران، بعد انطباقهما التام مدة، يسمع انفجاري نتيجة لاندفاع الهواء الذي كان مضغوطا فيما دون الوترين الصوتيين. وهذا الصوت هو ما يسميه العرب "همزة القطع".

٥-اللسان:

يكفي لأغراض الدراسة الصوتية أن يقسم اللسان إلى ثلاثة أقسام [١]:

١- الجزء المقابل للحنك اللين " لأقصى الحنك" في الحالات العادية ويسمى "أقصى اللسان" "مؤخرة اللسان ".

٢- والجزء الذي يقابل الحنك الصلب "وسط الحنك". وفي الأحوال العادية، ويعرف بـ"وسط اللسان".

٣- والجزء الذي يقابل اللثة ويسمى "طرف اللسان".

أما "نهاية اللسان"٢ " ذلق اللسان"٣، أو " ذولقة " فهي داخلة في الجزء الذي اصطلح على تسميته بطرف اللسان، إن اللسان من

(١) المرجع السابق ، ص١١٥

أعضاء النطق المتحركة، وهو عضو بالغ المرونة، فمن الممكن أن يمس " ذلق" اللسان أي جزء من الحنك الأعلى فيما بين الأسنان وابتداء "الحنك اللين" وكذلك سائر أجزاء اللسان تستطيع أن تمس مواضع مختلفة من الحنك الأعلى. كما أن الجزء الأمامي من اللسان قادر على الحركة إلى الجانبين، وكذلك يرتفع اللسان وينخفض.

٦- الشفتان:

الشفتان من أعضاء النطق المتحركة، وهما تتخذان أوضاعًا مختلفة عند نطق الأصوات المختلفة، ومن الممكن ملاحظة هذه الأوضاع بيسر وسهولة: تنطبق الشفتان فلا تسمحان للهواء بالخروج مدة من الزمن ثم تتفرجان فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا كما في نطق الباء، وتستدير الشفتان كما يحدث عند نطق "الضمة "، وهما تتخذان وضعا مخالفا في نطق الكسرة العربية، وقد تفتح الشفتان حتى يتباعد ما بينهما إلى أقصى درجة، ويلاحظ أن فتح الشفتين ذو درجات مختلفة، واختلاف درجة فتح الشفتين يؤثر في طبيعة الصوت المنطوق. وهذا يلاحظه الذين يقومون بتدريس لغة أجنبية وخاصة في نطق "الصوائت" [١].

٦- الأسنان:

وهي من أعضاء النطق الثابتة، وهناك أسنان عليا، وأسنان سفلى، والأسنان تتخذ مواضع يعتمد عليها اللسان عند نطق بعض الأصوات " كما في التاء والدال مثلا ".

يظهر من هذا التعريف السريع بأعضاء النطق أن أعضاء النطق المتحركة هي: الوتران الصوتيان، والحنك اللين، واللسان، والشفتان، أما سائر أعضاء

(١)محمود السعران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص ١١٦

النطق فثابتة، ويلاحظ أن كل عضو من الأعضاء المتحركة قد يعمل وحده دون الاشتراك مع غيره من الأعضاء المتحركة أو قد يعمل مشتركا مع بعضها.

آلية النطق:

١- تحدث الأصوات في العالم الطبيعي نتيجة قرع بجسم، أو نفخ بجسم أو احتكاك جسمين. إلخ، أما معظم الأصوات الكلامية فيحدثها عمود هوائي متحرك يجري خلال فراغ ضيق في الفم، أو الأنف، أو الحلق. وكون العمود الهوائي متحركا يستلزم وجود باعث على الحركة، وهذا يستلزم كذلك أن تكون نقطة بدء، ونقطة نهاية، وأن يسير في اتجاه خاص. ومن المستطاع التأثير في هذا العمود الهوائي في مواضع أخرى غير مبدئه وغير منتهاه. ولكي يتحرك عمود من الهواء في الفراغات الموجودة في جهاز النطق الإنساني فهو في حاجة إلى ما "يدفعه " أو إلى ما " يجذبه " [١].

٢- وقد يعترض مجرى الهواء في موضع أو أكثر فيما بين مصدره ومنتهاه ، ويدفع الهواء بأن تنقبض جدران الرئتين فيندفع الهواء خارجهما، ولذلك فالرئتان في هذه الحال مصدر، "مجرى الهواء"، هما مبدأ "العمود الهوائي"، وجميع أصوات اللغة العربية في نطقها الطبيعي، تكون الرئتان هما باعث المجرى الهوائي المتخذ في نطقها.

ولكن المجرى الهوائي قد يبدأ في مواضع أخرى، فقد يضغط اللسان على سقف الحنك الأعلى ويحرك إلى الوراء، وهو لا يزال ضاغطا على الحنك فينشأ نوع من "المص" ويندفع الهواء إلى الداخل ليملأ الفراغ الجزئي، وهذا هو ما يحدث عندما نرتشف شرابا بواسطة "ماصة "،وإذا حدث في هذه الحالة أن يسد الوتران الصوتيان

(١) المرجع السابق ،ص١١٧

الطريق إلى الرئتين بينما ترفع الحنجرة، فإن الهواء المتجمع في الحلق يضغط ويضطر إلى الخروج عن طريق الفم أو الأنف، وهناك أصوات كلامية في بعض اللغات تحدث عن طريق تحريك العمود الهوائي بهذه الكيفية، ولما كانت طبيعة الصوت الكلامي تتأثر بالكيفية التي ينشأ بها المجرى الهوائي كان لزاما على دارس اللغة أن يتعرف مصدر المجرى الهوائي في كل صوت كلامي.

٣- ثم إن اتجاه المجرى الهوائي يؤثر كذلك في الصوت، والمجرى الهوائي يمكن تغييره والتأثير فيه في غير مبدئه ومنتهاه ،والأعضاء التي تغير المجرى الهوائي وتضبطه إما أنها متحركة وإما أنها ثابتة، وعندما تؤثر هذه الأعضاء المتحركة في مجرى الهواء فنحن نستطيع أن نسميها " نواطق"، أما الأجزاء الثابتة من أعضاء النطق فيمكن اتخاذها وسائل للدلالة على حركة الأجزاء المتحركة [١].

وعندما يمس عضو من الأعضاء الناطقة المتحركة عضوا آخر من هذه أو أحد الأجزاء الثابتة، فالاصطلاح جار على تسمية موضع التماس "التلاقي"، أو التقارب "موضع النطق"٤، وهكذا نستطيع أن نصنف أصوات أي لغة حسب مواضع نطقها، فنقسمها مثلا إلى "شفوية"، و"لثوية"، و"لهوية" و"حنكية"، و"حلقية" و"سنية" ... إلخ.

٤- وتأثير الأجزاء المتحركة من أعضاء النطق في المجرى الهوائي يحدث على صور كثيرة: منها أن يغلق الفم والأنف حتى يوقف مجرى الهواء وقفا تاما، كما يحدث في نطق الباء، والتاء، والدال. وقد يوقف مجرى الهواء وقفا تاما في الحلق وقتا ما، وعندما ينقضي هذا الوقف التام الوقتي يندفع الهواء عن طريق الأنف أو الفم.

---

(١) المرجع السابق ،ص١١٨

وعلى هذا الأساس نستطيع تصنيف الأصوات حسب، "طريقة النطق" أو "هيئة النطق"، فنقول مثلا: إن الصوت "انفجاري" أو "احتكاكي" .. إلخ .

٤- وقد يعترض مجرى الهواء في الوترين الصوتيين فيحدث عن ذلك ما أشرنا إليه من تذبذب الوترين أو عدم تذبذبهما، وعلى هذا الأساس نصنف الأصوات إلى "مجهورة " و"مهموسة ".

الصوت الكلامي

أ- يمكن أن نستنتج من وصفنا لجهاز النطق الإنساني أنه قادر على إحداث عدد كبير جدا من الأصوات الكلامية، ولكنا نستطيع أن نستنتج كذلك من الملاحظة السريعة غير الدقيقة للغات المختلفة أن كل لغة لا تصطنع إلا عددا محدودا من الأصوات، فنحن في العربية لا نستعمل جميع الأصوات التي يمكن أن يحدثها جهاز نطقنا.

ب- ويجب على دارس الأصوات اللغوية، أو علم اللغة بوجه عام، أن تتوافر له القدرة على وصف جميع الأصوات الكلامية الخاصة بأي لغة من اللغات، وكي يؤدي هذا فعليه أن يصطنع منهجا ما لتصنيف الأصوات من الممكن أن تصنف الأصوات حسب تأثيرها السمعي، أي حسب خواصها السمعية، فنصنفها حسب، "ارتفاعها"، أو "انخفاضها"، أو حسب صفاتها الموسيقية ووصف التأثير السمعي للأصوات ينتهي بنا إلى أن نطلق عليها أوصافا مثل "لينة" و"خشنة"، و"عذبة" ... إلخ، ولكن هذه الألفاظ لا تتصف بالدقة العلمية الواجبة في مثل هذه الدارسة ولن تفيدنا كثيرا في دراستنا اللغوية.

استعملنا مصطلح "الصوت الكلامي" وجمعه "الأصوات الكلامية" دون أن نعرف طبيعته، ويحسن بنا قبل أن نتقدم إلى الحديث عن تصنيف الأصوات على أسس علمية دقيقة، أن نتعرف طبيعة الصوت الكلامي.

يكاد يتكون كل نطق أو كل "سلسلة كلامية " من عدد كبير من عناصر صغيرة لا يتشابه اثنان معها، وهذا واضح من الآثار الصوتية التي تسجلها للأصوات بعض الآلات كالأسيلوجراف وأسطوانات الجراموفون، فمن النادر جدا أن نجد قطعا من "سلسلة كلامية" يتماثل الصوت فيها طبيعة، وشدة، ودرجة، أي من النادر جدا أن نجد "النوع الصوتي" الذي تظهر "آثاره الصوتية" في رسم الأسيولوجراف، أو على الأسطوانة ممثلة بموجات متتابعة نفس التتابع.

ولكن تقسيم سلاسل الكلام إلى "أقسام"، أو "قطع" أو "عناصر" نسميها "الأصوات الكلامية" أمر ملائم لتحقيق أغراض الدراسة اللغوية.

نعم، إن مواضع الفصل بين الأصوات الكلامية المتتابعة تدل عليها أحيانا تغيرات حادة بارزة في نماذج الآثار الصوتية،ولكن الأغلب أنها "أي مواضع الفصل ... " لا تظهر بوضوح في أمثال هذه الآثار الصوتية.

والواقع أنه قد ثبت أن ما نسميه في الدراسات اللغوية "الصوت الكلامي" لا وجود له من وجهة نظر الطبيعة "الفيزياء"، كما ثبت أنه إذا ولي عنصر من العناصر التي نسميها "الصوت الكلامي" عنصرا آخر، فالأغلب أنهما يتداخلان تدريجيا. فقد اتضح أن خواص ما نسميه "الصوت الكلامي" تبدأ عادة في الظهور قبل أن ينتهي "الصوت الكلامي" السابق له، وأنهما يستمران في إظهار خواصهما بعد أن يبدأ الصوت التالي.

ولكن ثمة جزءا متميزا من "الصوت الكلامي" يعترف بوجوده علم الطبيعة، ولكن هذا الجزء لا يستغرق عادة وقتا يذكر.

ومع ذلك فالتصور الخاص "بالسلاسل الكلامية" تصور لا يمكن الاستغناء عنه في البحوث اللغوية.

وهذا التصور تبرره الطرق التي يحدث بها الكلام. فالكلام نتيجة أحداث معينة يقوم بها جهاز النطق. فالشفتان واللسان ... إلخ، تتخذ مواضع مختلفة، أو تقوم بحركات مختلفة متتابعة، وهذه الأوضاع والحركات يمكن أن توصف، وأن تصنف. وفيما يلي ترجمة حرفية لشيء من كلام دانيال جونز في هذا الشأن:قال دانيال جونز: "أما كون الانتقال من صوت كلامي إلى صوت يليه في سلسلة كلامية يتم عادة تدريجيا، فأمر لا وزن له من وجهة النظر اللغوية، لقد أدرك"سويت" وغيره من رواد علم الأصوات اللغوية في العصر الحديث أن الانتقال من "صوت" إلى آخر عملية تدريجية وهم في اصطلاحهم قد قالوا: إن الأصوات الكلامية المتوالية يرتبط بعضها ببعض عن طريق "أصوات انتقالية" تسمى " المعابر" "أو "المزالق"، و"المعبر" "أو"المزلق"، هو الصوت الحادث عن حركة الانتقال بطريقة طبيعية من موضع "أ و الموضع الابتدائي" للصوت الكلامي الذي يليه، إنه صوت لا يمكن تجنبه، وليست له دلالة لغوية، وقد يتضمن المعبر أجزاء متعددة من جهاز النطق، وهذه لا تحتاج إلى أن تحدث على التوالي تماما، وهي في الواقع لا تحدث كذلك.

وقال: "إن موضع الفصل بين صوت كلامي وبين الصوت الذي يليه في السلسلة "الكلامية" يمكن أن يعتبر أي نقطة في "المعبر" يصلح اختيارها على أسس لغوية. وهذه النقطة في معظم الأحوال لا تقابل أي تغير حاد في نموذج "الأثر الصوتي أو الأوسيلوجام".

وقال دانيال جونز:" إن التصور اللغوي الخاص بـ"الصوت الكلامي" يحدده إمكان إزالة قطعة من سلسلة كلامية وإحلال قطعة من سلسلة أخرى محلها، على أن يتوافر في القطعتين أن يحدث تبادلهما تغيير كلمة إلى كلمة أخرى".

فالصوت الكلامي عند دانيال جونز هو "أصغر قطة قابلة للتبادل" بالشكل الذي أوضحه، ومثَّل لذلك بقوله إن النطق الكلامي لكلمة "as" az يتكون من صوتين كلاميين، فالقطعة التي نمثلها في الكتابة بـ a هي أصغر قطعة ابتدائية يمكن إزالتها، وإحلال قطعة من سلسلة أخرى محلها، وذلك مثل i، وهكذا تكون لدينا كلمة iz. وكذلك فإن القطعة التي نمثلها في الكتابة بـ Z هي أقل قطعة نهائية يمكن إزالتها وإحلال قطعة من سلسلة أخرى محلها وذلك مثل m، وهكذا يتوافر لدينا النطق الكامل لكلمة am [1].

تصنيف الأصوات:

أ- تقسيم الأصوات إلى صوائت وصوامت:

أي صوت كلامي ينتمي إلى قسم من القسمين العامين المعروفين بالصوائت والصوامت.

وقبل أن نحدد الأصوات العربية التي يصدق عليها لفظ "صوائت" وتلك التي يصدق عليها لفظ "صوامت" ينبغي أن نسأل: ما الأساس الذي بني عليه تقسيم الأصوات إلى هذين القسمين؟

١- يحدد الصوت الصائت "في الكلام الطبيعي" بأنه الصوت " المجهور" الذي يحدث في تكوينه أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق والفم، وخلال الأنف معهما أحيانا، دون أن يكون ثمة عائق "يعترض مجرى الهواء اعتراضا تاما" أو تضييق لمجرى الهواء من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا.

وأي صوت "في الكلام الطبيعي" لا يصدق عليه هذا التعريف يعد صوتا صامتا، أي أن الصامت هو الصوت المجهور أو المهموس الذي يحدث في نقطة أن يعترض مجرى الهواء اعتراضا كاملا "كما في حالة الباء"

(١) محمود السعران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص ١٢٢

أو اعتراضا جزئيا من شأنه أن يمنع الهواء من أن ينطلق من الفم دون احتكاك مسموع "كما في حالة الثاء والفاء مثلا".

من التعريفين السابقين يتضح أن الصوائت جميعا مجهورة، أما الصوامت فمنها ما هو مجهور ومنها ما هو مهموس. والأصوات العربية التي يصدق عليها تعريف الصائت هي ما سماه نحاة العربية بالحركات "الفتحة a، والضمة u، والكسرة i" وبحروف المد واللين "مقصودا بها الألف في مثل عدا "aa"، والواو في مثل قالوا "uu"، والياء في مثل القاضي "ii" [1].

من تعريفنا للصائت بأنه مجهور ينتج أن كل الأصوات غير المجهورة "أي المهموسة" تعد صامتة، وذلك مثل السين والشين والفاء إلخ. كما ينتج من تعريفنا للصائت بأنه المجهور الذي لا يعترض مجرى الهواء عند نطقه في الحلق والفم اعتراضا تاما أو ناقصا محدثا لاحتكاك مسموع، أن كل الأصوات التي يعترض فيها مجرى الهواء في الفم -سواء كانت مجهورة أم مهموسة- تكون صامتة، وذلك مثل الباء والتاء واللام والراء، وكذلك ما يعترض مجرى الهواء في تكوينه في الحنجرة مثل همزة القطع وأن كل الأصوات التي لا يمر الهواء في نطقها من الفم -مجهورة أم مهموسة- تدخل في باب الصوامت كذلك وذلك كالميم، وأن همزة القطع مثلا خارجة من الصوائت، ويصدق عليها أنها صامت لأنه يحدث في نطقها أن الهواء يعترض اعتراضا تاما في الحلق "= في الحنجرة"، وأن كل الأصوات التي يحدث في نطقها احتكاك مسموع، كالفاء والسين والزاي تندرج تحت الصوامت. إذًا كل الأصوات المهموسة تدخل تحت طبقة الصوامت، أما المجهورة فبعضها "وهو الذي لا يحدث في نطقه اعتراض كامل لمجرى الهواء أو تضييق له يحدث احتكاكا"

(١) المرجع السابق ،ص١٢٣

يـــدخل تحـــت الصـــوائت، وســـائرها ينطـــوي تحـــت الصـــوامت. والصوامت العربية هي:

همـزة القطـع ب- ت- ث- ج- ح- خ- د- ذ- ر- ز- س- ش- ص ض- ط- ظ- ع- غ- ف- ق- ك- ل- م- ن- هـ- و "فـي مثـل ولـد" ي" فـي مثـل يتـرك".

٢- يتضح من التعريف الذي قدمناه للصوامت والصوائت أن تعريف قدماء اليونـان للصـوت بأنـه الصـوت الـذي لا يتـأتى نطقـه دون الاسـتعانة بصـوت صـائت، تعريـف خـاطئ، فمـن اليسير أن ننطـق صـوتا صـامتا منفردا وحـده، ويوجد في لغات كثيرة كلمات تكون من صوامت ليس غير كما في الصوتين "tz" فـي الصـينية، وكـذلك الـ"f" فـي التشيكوسـلوفاكية كلمـة مـن الكلمـات، والمجموعـة "Krk" كلمـة فـي اللغـة الكرواتيـة، وفـي الإنجليزيـة from تنطـق أحيانا frm[1] .

٣-وقد يتضح من تعريفنا للصوائت والصوامت كذلك أنه مبني على أساس فسيولوجي صارم ليس غير، ولكن هذا ليس صحيحا، فالتقسيم إلى صوائت وصوامت مبني في الواقع على اعتبارات سمعية هي الاختلاف بين الأصوات في وضوحها في السمع، فلقد لوحظ أن بعض الأصوات أشد وضوحا في السمع من بعض، بمعنى أنها تسمع على مسافة أبعد عندما تنطلق بنفس "الطول" و"الارتكاز" و"الدرجة"، والملاحظ أن الأصوات التي توسم بأنها "صوائت" أشد وضوحا في السمع من غيرها من الأصوات الكلامية "عندما تنطق بالطريقة العادية "، وهذا هو السبب الذي من أجله اعتبرت هذه الأصوات طبقة من الطبقتين الرئيسيتين.

ويلاحظ أن مقدار "وضوح" الأصوات في السمع يعتمد على "طبيعتها" وينبغي أن يميز من "بروز" "ظهور" الأصوات في سلسلة كلامية: "إن

(١) المرجع السابق ،ص١٢٥

"البروز" يعتمد على ارتباط "طبيعية" الصوت و"طوله" و"ارتكازه"، وعلى "درجته" "= "تنغيمه" في حالة الأصوات المجهورة.

وإذا تساوى صوت صامت وصوت صائت في "الطول" و"الارتكاز" وكان "التنغيم" الذي ينطق به كلاهما "مستويا" فإن الصائت أشد بروزا من الصامت.

والصوائت المنفتحة هي في الجملة أشد بروزا من الصوائت الضيقة والصوامت المجهورة أشدا بروزا من الصوامت المهموسة، وأصوات اللام والصوامت الأنفية المجهورة أشد بروزا من سائر الصوامت المجهورة. أما الصوامت المهموسة فهي تتصف بقدر من البروز قليل جدا بالقياس إلى الأصوات المجهورة [1].

وما هو جدير بالملاحظة أن الصوائت المهموسة يحتاج نطقها إلى قوة من "إخراج النفس""= الزفير" أعظم من التي يتطلبها نطق الصوامت المجهورة. ويمكن أن نلمس هذا الفارق في قوة النفس إذا بسطنا الكف أمام الفم ونحن ننطق صامتا مهموسا متلو بنظيره المجهور مثل ث، ذ/ ت، د/ س، ز ... إلخ. كما أن نطق الصوامت المهموسة يحتاج عادة إلى جهد عضوي أقوى من الذي يستدعيه نطق الصوامت المهجورة. فالصوامت الانفجارية المهموسة "مثل ت، ط، ك" يكون "حبس الهواء" فيها أشد إحكاما منه في حالة الانفجارية المجهورة "كالدال، والضاد، والجيم القاهرية، والباء"، كما أن "انطلاق الهواء" "= انفراج الأعضاء" في الأولى يكون أشد حدة منه في الثانية. أما "الصوامت الاحتكاكية"٤ المهموسة "مثل الفاء والثاء والسين" فتكون "درجة الانفتاح" فيها "أي مقدار البعد بين الأعضاء المشتركة في

(١) المرجع السابق ،ص١٢٧

النطق والمحدثة للاحتكاك، أي درجة انفتاح المجرى الهوائي أو سعته" أقل من تلك التي تكون في نطق الاحتكاكية المجهورة "مثل "V"، والذال، والزاي".

ب- تقسيم الصوامت حسب طريقة النطق أي حسب حالة ممر الهواء عند موضع النطق:

إن الأقسام الرئيسية للصوامت التي تنماز على هذا الأساس هي:

١- الانفجارية "أو المتفجرة" Plosives.

٢- الانفجارية الاحتكاكية Affricates.

٣- الغناء "= الأنفية" Nasal.

٤- المنحرفة Lateral.

٥- المكررة Rolled.

٦- المستلبة "= المستلة"، أو "المفردة" Flapped.

٧- الاحتكاكية Fricatives.

٨- المتمادة غير الاحتكاكية Frictionless.

٩- أشباه الصوائت: "أو: أنصاف الصوائت" Semi - Vowels.

١- الصوامت الانفجارية:

تتكون الأصوات الانفجارية بأن يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما في موضع من المواضع، وينتج عن هذه الحبس، أو الوقف، أن يضغط الهواء، ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة، فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا.

ومن ثم فالصوت الانفجاري يتكون من حبس "وقف"- "إطلاق" صوت يتبع الإطلاق،ومن هنا كان وصف الانفجارية -أحيانا- بأنها "آنية" في مقابل

غيرها من الأصوات التي يطلق عليها لفظ "متمادة"، والأصوات "الصوامت" الانفجارية العربية "أي في العربية الفصحى كما تنطق في مصر هذه الأيام" هي: ب، ت، د، ط، ض، ك، ق، همزة القطع.

والمواضع التي يوقف فيها مجرى الهواء وقفا تاما عند إحداث هذه الأصوات الانفجارية هي [1]:

١- الشفتان -وذلك بأن تنطبقا انطباقا تاما في حالة الباء.

٢- أصول الثنايا العليا ، وذلك بأن يلتقي بها طرف اللسان- في التاء، والدال، والطاء، والضاد.

٣- أقصى الحنك الأعلى -بأن يلتقي به أقصى اللسان- في حالة الكاف. "وفي حالة الجيم القاهرية في العامية".

٤- أدنى الحلق بما في ذلك اللهاة -بأن يلتقي به أقصى اللسان- في حالة القاف.

٥- الحنجرة "فتحة" وذلك في همزة القطع.

وصف تكوين الأصوات العربية الانفجارية:

١- الباء: يتكون الباء بأن يوقف الهواء وقفا تاما، وذلك بأن تنطبق الشفتان انطباقا كاملا، ويرفع الحنك اللين فلا يسمح بمرور الهواء إلى الأنف، يضغط الهواء مدة من الزمن، وعندما تنفرج الشفتان يندفع الهواء فجأة من الفم محدثا صوتا انفجاريا، ويتذبذب الوتران الصوتيان أثناء النطق.

وهكذا يوصف الباء بإيجاز بأنه: صامت مجهور شفوي "= شفتاني" انفجاري.

(١) المرجع السابقة ، ص١٢٨

والنظير المهموس للباء - وهو "p"- ليس من جملة الأصوات العربية، وهو يتكون بنفس الطريقة التي يتكون بها الباء، فيما عدا أن الوترين الصوتيين لا يتذبذبان أثناء نطقه.

فالـ"P" صامت مهموس شفوي "= شفتاني" انفجاري.

٢- التاء: يتكون هذا الصوت بأن يوقف مجرى الهواء وقفا تاما، وذلك بأن يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، ويرفع الحنك اللين فلا يمر الهواء إلى الأنف، يضغط الهواء مدة من الزمن ثم ينفصل العضوان انفصالا فجائيا محدثا صوتا انفجاريا.

فالتاء صوت صامت مهموس سني انفجاري.

٣- والنظير المجهور للتاء هو الدال. وهو يتكون بنفس الكيفية التي يتكون بها التاء إلا أن الوترين الصوتيين يتذبذبان أثناء النطق.

فالدال صوت صامت مجهور سني انفجاري

٤- الطاء:يتكون هذا الصوت كما يتكون التاء إلا أن شكل اللسان مع التاء، ففي حالة النطق بالطاء يرتفع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك ويتقعر وسطه وهذا هو ما أراده نحاة العرب "بالإطباق". فالفرق بين الطاء والتاء أن الأول "مطبق" والثاني "غير مطبق".

فالطاء صوت صامت مهموس سني مطبق انفجاري.

٥-الضاد:والنظير المجهور للطاء هو الضاد، فلا فرق بين الضاد والطاء إلا أن الأول مجهور والثاني مهموس، ولا فرق بين الضاد والدال إلا أن الضاد "مطبق" والدال لا إطباق فيه.

ولذلك فالضاد صامت مهموس سني مطبق انفجاري.

٦- الكاف: يتكون الكاف بأن يعترض الهواء الخارج من الرئتين اعتراضا تاما، وذلك برفع أقصى اللسان حتى يلتقي بأقصى الحنك الأعلى "= بالحنك اللين" الذي يرفع هو الآخر ليمنع مرور الهواء إلى الأنف، يضغط الهواء ثم

يطلق سراح المجرى الهوائي بأن يخفض اللسان فيندفع الهواء خلال الفم محدثا في اندفاعه صوتا انفجاريا. لا يتذبذب الوتران الصوتيان أثناء نطق الصوت،فالكاف صامت مهموس حنكي - قصي انفجاري .

والمقابل المجهور للكاف ليس من جملة الأصوات المستعملة في العربية الفصحى هذه الأيام، ولكنه مستعمل في بعض العاميات، وهو المعروف بالجيم القاهرية. فلا فرق بين الكاف وبين الجيم القاهرية "g" إلا أن الكاف مهموسة والجيم القاهرية مجهورة،فالجيم القاهرية صامت مجهور حنكي - قصي انفجاري.

٧- القاف:يتكون هذه الصوت بحبس الهواء الخارج من الرئتين حبسا كليا، وذلك بأن يرتفع أقصى اللسان حتى يلتقي بأدنى الحلق بما في ذلك اللهاة، ولا يسمح للهواء بالمرور خلال الأنف، وذلك برفع الحنك اللين؛ يضغط الهواء مدة من الزمن، ثم يطلق مجرى الهواء بأن يخفض أقصى اللسان فجأة فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا. ولا يتذبذب الوتران الصوتيان أثناء نطق الصوت.

فالقاف صوت صامت مهموس لهوي انفجاري. أما النظير المجهور للقاف، الذي يحدث في نفس الموضع وبنفس الكيفية ولكن يتذبذب معه الوتران الصوتيان، فليس من جملة الأصوات العربية الفصحى الآن إلا أنه يسمع في بعض العاميات.

فالنظير المجهور للقاف، وهو الذي يرمز إليه كتابة بـ"G" صوت صامت مجهور لهوي انفجاري.

٧- همزة القطع: يحدث هذا الصوت بأن تسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين، وذلك بانطباق الوترين انطباقا تاما فلا يسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة، يضغط الهواء فيما دون الحنجرة، ثم ينفرج الوتران فينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثا صوتا انفجاريا. وهمزة القطع لا هي بالمجهورة ولا هي بالمهموسة، فهمزة القطع صوت صامت حنجري انفجاري.

٢- نظرية الأصوات الانفجارية [١]**:**

رأينا أن النطق الكامل للصوت الانفجاري يتطلب:

١- اتصالا بين عضوين ينتج عنه وقف المجرى الهوائي وقفا كاملا.
٢- ثم انفصال العضويين هذا الانفصال الذي يحدث عنه انفجار الهواء.
ولقد لوحظ أنه في حالة الانفجارية المهموسة، لا يسمع شيء إطلاقا في اللحظة التي يوقف فيه المجرى الهوائي "= أي قبل حدوث الانفجار"، أما في حالة الانفجارية المجهورة فإنه يسمع شيء من "الجهر" "= ذبذبة الوترين الصوتيين" يختلف مقداره باختلاف الأحوال أثناء وقف المجرى الهوائي.
٣- إذا كانت الأصوات الانفجارية جميعا تشترك في أنها في نطقها يوقف الهواء الخارج من الهواء وقفا تاما مدة من الزمن، ثم يظل محدثا صوتا انفجاريا، فما الذي يجعل أحدها متميزا من الآخر؟ ما الذي يجعل الباء مثلا متميزا من الكاف ... إلخ؟ أي ما الذي يحدد "طبيعة" الصوت الانفجاري؟
إن طبيعة الصوت الانفجاري تختلف حسب:
١- الموضع الذي يوقف فيه الهواء. فموضع وقف الهواء يحدد شكل المجرى الهوائي الذي يستعمل في تكوين الصوت. فشكل المجرى الهوائي في نطق الكاف -الذي يوقف الهواء فيه عند أقصى الحنك- غير شكل المجرى الهوائي

(١)محمود السعران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص ١٣٢

المستخدم فينطق الباء -الذي يوقف فيه الهواء عند الشفتين- وهكذا.

٤- كما تختلف طبيعة الصوت الانفجاري حسب تذبذب الوترين الصوتيين أو عدم تذبذبهما. وهذا ينتج عنه أن يكون الانفجاري مجهورا كالجيم القاهرية "g" والباء "b"، أو مهموسا كالباء "P" والكاف "K" مثلا.

٥- قد يكون تذبذب الوترين الصوتيين جزئيا، أي لا يستمر طوال الصوت، فقد يبدأ الصوت الانفجاري مهموسا ثم يصبح مجهورا، أو العكس، أي قد يبدأ الصوت الانفجاري مجهورا ثم يصبح مهموسا، وفي هذه الحال يقال أن الصوت "مقلل الجهر" ومن ذلك أن صوت اللام الإنجليزي "وهو صوت مجهور" يبدأ مهموسا في كلمة Clean ثم يستمر مجهورا، كما أن صوت الـ Z "وهو من الأصوات المجهورة" ينتهي مهموسا في كلمة Please الإنجليزية "وذلك قبل الوقف".

٦- الانفجارية المهموسة النفسية، والانفجارية المهموسة غير النفسية. قد تكون قوة إخراج النفس شديدة حتى إنه بعد إطلاق الانفجاري المهموس يبدو الهواء الخارج بعد الوقف في السمع كأنه هاء، وذلك مسموع في نطق الباء "p" في الكلمة الإنجليزية Park، وقد يمثل هذا النطق للباء في الكتابة "Ph". ولكن ليس من اللازم أن يكون الصوت المستقل الضروري الذي يتبع كل انفجاري مهموس صوتا مهموسا قصيرا؛ إذ من الممكن أن ننطق انفجاريا مهموسا متلو بصوت صائت كما في المجموعة، "تا"، و"كا" إلخ، بحيث يكون الصائت"والصوائت مجهورة بطبيعة الحال" الصوت الإضافي الضروري للنطق الكامل للانفجاري. فالذي يحدث في هذه الحال أن الصائت يبدأ في نفس اللحظة التي يحدث فيها انفجار الصوت الصامت. كما أنه من الممكن أن ننطق انفجاريا مهموسا متلوا بصامت مجهور بحيث يبدأ جهر المجهور في نفس اللحظة التي يحدث فيها انفجار المهموس -كما في "Pl"- وهكذا ينطق الانفجاري المهموس النطق الكامل دون أن يتبع بصوت

مهمـــــــــــــــوس إضـــــــــــــــافي ضـــــــــــــــروري.
والانفجارية المهموسة التي تنطق بهذه الكيفية، أي التي يتبعها صوت مجهور، صائت كما في المثال الأول، أو صامت كما في المثال الثاني، يبدأ جهره ساعة الانفجـــــار، تســـــمى "انفجاريـــــة مهموســـــة غيـــــر نفســـــية".

٧- حـــــــــــــــــــــــــــــــروف "القلقلـــــــــــــــــــــــــــــــة":

وضع نحاة العرب الأصوات العربية الانفجارية المجهورة في طبقة واحدة سموها "حروف القلقلة". وهذه الأصوات جمعوها في عبارة "قطب جد" "يلاحظ أن القاف التي وصفها النحاة كانت مجهورة وليست مهموسة كما تنطق في الفصحى هذه الأيام. وكذلك شأن الطاء، هي مهموسة في أيامنا، ولكنها كانت مجهورة، أي أن نطقها القديم كان أشبه بنطقنا للضاد. أما الجيم وهي ليســت انفجاريــة فــي فصــحانا، فقــد وصــفت إذ ذاك بأنهــا انفجاريــة". وقد أدرك النحاة أن الخاصية الصوتية التي تشترك فيها هذه المجموعة من الأصوات راجعة لكونها "شديدة" "= انفجارية" و"مجهورة". هذه الخاصية هي هذا "الصوت" الذي يتبع هذه الصوامت عندما تكون "ساكنة" والذي لا يحدث عندما يتبعها صوت صائت قصير "= حركة" أو صوت صائت طويل "= حرف مد ولين". والواقع أنه في هذه الحالة الأخيرة يكون الصائت نفسه الصوت المستقل الضروري الذي يجب أن يتبع الانفجاري عندما تزال العقبة الحابسة للهواء، لما كان جهر الصائت التالي للانفجاري يبدأ لحظة الانفجار [١].

وقد قرر نحاة العرب كذلك أن نطق هذه الأصوات نطقا واضحا حالة الوقف يستدعي جهدا أكبر؛ لأنها لما كانت "شديدة" "= انفجارية" فإن الهواء "المجرى الهوائي" محبوس حبسا تاما، ولما كانت "مجهورة" فإن "النفس"

(١) المرجع السابق ،ص١٣٤

ممنوع من أن يجري معه، ونتيجة لهذا الجهد فإنه يتبعها "صوت" أو "صويت" أو "نبرة" ومن ثم تنتقل هذه الأصوات من الوقف "السكون" إلى "شبه الحركة". وقد لاحظ النحاة أن هذا الصوت الإضافي يختلف درجة باختلاف المتكلمين، وقد حكي أن بعض العرب كانوا يخرجونه أشد عنفا من غيرهم.

أما الصوت الإضافي في حالة ما سماه نحاة العرب "حروف القلقلة" فالرأي أنه غير مهموس، أي ليس نفسا، وهذا بناء على الحقائق الآتية:
١- أن النحاة يفرقون بين هذا الصوت الإضافي وبين "النفس" أو "النفخ".
٢- أنهم يقررون أنه بسبب هذا الصويت الإضافي تنتقل هذا الأصوات الانفجارية من "السكون" إلى "شبه الحركة"،وهم يعنون بهذا أنه تصبح شبيهة شيئا ما "بالحروف المتحركة". ومعروف أن ما يعرف في الاصطلاح العربي "بالحرف المتحرك" هو صوت صامت يتلوه صوت صائت قصير. من هذا نرى أن الصوت الإضافي في حالة "حروف القلقلة" يشبه "بالحركة" أي بالصائت القصير ومن البديهيات أن الصوائت مجهورة. والأرجح أن هذا الصوت الإضافي "صوت صائت مركزي ضعيف". وقد ذكر نحاة العربية كذلك أن "حروف القلقلة" تكون غير واضحة عندما لا تنطق النطق الكامل. وتفسير ملاحظتهم هذه، أن الذي يحدث في مثل هذه الحالة هو "تقليل جهر" الانفجارية حتى إن هذه الصوامت تصبح انفجارية ضعيفة الهمس b, d etc أو "أصوات قذفية ضعيفة". يقول ابن يعيش: إن هذه الأصوات سميت "حروف القلقلة" لأنك لا تستطيع أن "تقف" عليها إلا بصوت "هو هذا الصائت المركزي الضعيف الذي أشرنا إليه" بسبب شدة "الحصر" و"الضغط" "في نطقها" كما في "الحق" واذهبْ واخلطْ و"اخرجْ".

وثمة تفسيرات أخرى لتسمية هذه الأصوات "حروف القلقلة" منها أنها من "قلقلة" بمعنى "حركة" وليس هنا مجال الإشارة إليها٤.

٦- إن نوع انطلاق المجرى الهوائي، أو الانفجار، مؤثر في طبيعة الصوت الانفجاري. وأهم أنواع انطلاق المجرى الهوائي، أو الانفجار، في حالة الانفجارية [١]:

أ- الانطلاق -أو الانفجار- المنحرف:
وهذا النوع من الانفجار يحدث عندما يكون الانفجاري متبوعا بصوت "منحرف" "كاللام" ففي المجموعة "tl" مثلا كما في Little الإنجليزية، لا يزول اللسان كله عن موضعه الذي يتخذه لنطق الانفجاري "التاء" ولكن الذي يحدث إن إحدى حافتي اللسان تنفرج عن الأسنان العليا، فيخرج الهواء من الانفراج بما يسمى انفراجا منحرفا "وقد تنفرج حافتا اللسان معا".

ب- الانطلاق -أو الانفجار- الأنفي:
وهذا النوع من الانفجار يحدث عندما يتبع الصوت الانفجاري بصوت أغن "أنفي" مباشرة "ونقرب بالاصطلاح العربي التقليدي فنقول: عندما يكون الانفجاري "ساكنا" وبعده صوت أغن كالميم أو النون" فإن الانفجاري في هذه الحالة لا ينطق بالكيفية العادية، بمعنى أن انفجاره لا يكون بالشكل العادي. وذلك كالتاء، والطاء، والدال في مثل "متن"، بطن، فدم، عدم "فالتاء والطاء قد ولي كلا منهما صوت النون وهو أنفي، والدال الانفجاري قد وليه صوت الميم وهو أنفي" فالانفجار المسموع في نطق هذه الكلمات لا يتكون نتيجة انطلاق الهواء من الفم، بل يتكون بأن ينطلق الهواء من الأنف، عندما يخفض

(١) المرجع السابق ،ص١٣٧

الحنك اللين استعدادا لنطق الصوت الأغن التالي للصوت الانفجاري، ومن هنا نسمي هذا النوع من الانفجار "الانفجار الأنفي".

ت- الصوامت الانفجارية الناقصة:

ذكرنا أن الانفجاري يتكون من: ١- وقف لمجرى الهواء ٢- ثم إطلاق و٣- صوت يعقب الإطلاق، ولكن توجد حالات لا تنطق فيه الصوامت الانفجارية النطق الكامل، بمعنى أنه لا يتوافر في كل منها هذه العناصر الثلاثة.

وهذا مشاهد في فصحانا عندما يتوالى انفجاريان -أي دون فاصل بينهما من صامت أو صائت- سواء أكان الانفجاري الأول غير الانفجاري الثاني أم كان الأول والثاني مثلين، فالانفجاري الأول في كل من هاتين المجموعتين لا يفجر.

ومن أمثلة المجموعة الأولى الباء والتاء في "ابتهاج"، والباء والدال في "عبد" والباء والهمزة في "عبء" والتاء والقاف في "إتقان"، والتاء والباء في "عتب" والدال والباء في "أدبر" والدال والقاف في "ودق" والطاء والباء في "مطبوع"، والطاء والهمزة في و"وطء" والضاد والباء في "قضب"، والكاف والتاء في "اكتواء" والكاف والضاد في "ركض"، والقاف والدال في أقدار" "وفي "مقدور"، والقاف والتاء في "اقتدار " وفي "اقتضاب"، والقاف والتاء في "وقت"،والهمزة والكاف في "مأكل"، والهمزة والتاء في "مأتى"، والهمزة والباء في "مأبون"، والهمزة والدال في "وأد" فالانفجاري الأول في كل من هذه الكلمات لا يفجر، أي أن العضوين اللذين يقفان الهواء لا ينفرجان لينطلق الهواء قبل أن تأخذ الأعضاء في نطق الانفجاري التالي، بل يكون الوقف اللازم للانفجاري الأول دون أن يتبعه انفجار. ففي "ابتهاج" و"عبد" و"عبء" لا تنفرج الشفتان وهما المكونتان للوقف في حالة الباء ثم تنتقل الأعضاء إلى تكوين الصوت التالي وهو التاء، والدال، والهمزة، بل يتكون

كل من هذه الأخيرة والشفتان لا تزالان مغلقتين لتكوين الباء، والهمزة، وهكذا فلا انفجار للباء. أما في "إتقان" و"عتب" و"أدبر" و"دق" و"مطبوع" و"وطء"، و"مضبوط" و"قضب" و"اكتواء" و"ركض" و"أقدار" و"وقت" حيث يكوِّن الوقف اللازم للانفجاري الأول جزء من اللسان يضغط على الأسنان "كما في حالة التاء والدال والطاء والضاد" أو على أقصى الحنك الأعلى "كما في حالة الكاف"، أو على أدنى الحلق بما فيه اللهاة "كما في القاف"، فالذي يحدث أن اللسان لا يغادر موضعه "من الأسنان أو الحنك الأعلى أو أدنى الحنك" الخاص بالانفجار الأول قبل الانتقال إلى تكوين الانفجاري التالي له، بل يظل في موضعه بينما يتكون الانفجاري التالي، وهكذا فلا إطلاق لمجرى الهواء في حالة الانفجاري الأول في كل من هذه الكلمات. أما في "مأكل" و"وأد" حيث يكون الوقف الضروري للهمزة في الحنجرة بانطباق الوترين الصوتيين انطباقا تاما، فإن الوترين الصوتيين لا يتباعدان قبل نطق الكاف والدال، بل يتكون كل من الكاف والدال، والوتران الصوتيان منطبقان، ومن ثم فلا تفجر للهمزة في هاتين الكلمتين.

أما الحالة الثانية التي يعد فيها الانفجاري ناقصا فهي عندما يكون الانفجاريان المتواليان مثلين، في كلمة أو كلمتين، فالانفجاريان في هذه الحال يكونان صوتا طويلا و"إطلاقا" واحدا.

وذلك كما في، "عبأ" حتى، تعدي، تخطى، توضأ، زكّى، رقّى، سؤال. وكما في اشرب به، محتلك، سد دارك، اضبط طريدا، أبغض ضرا، أملك كريما، لم يرق قوما، لا تسؤ أخاك [1].

(١) المرجع السابق ،ص١٣٨

٢-الصوامت الانفجارية الاحتكاكية :

١- كل صامت انفجاري يمكن أن يكون احتكاكي مقابل له، أي احتكاكي يتكون في نفس الموضع الذي يتكون فيه الانفجاري، مع اختلاف في طريقة النطق، فالكاف العربي انفجاري والمقابل الاحتكاكي له هو الخاء. وموضع نطق الكاف هو موضع نطق الخاء، ولكن طريقة نطق الكاف غير طريقة نطق الخاء، ففي الكاف يرفع أقصى اللسان حتى يلتقي بأقصى الحنك بحيث لا يسمح للهواء بالمرور من الفم إلى أن ينفصل العضوان انفصالا فجائيا، "أي بحيث يكون فراغ بين أقصى الحنك وأقصى اللسان يستطيع الهواء أن ينفذ منه"، أما في الخاء فيرفع أقصى اللسان حتى يقترب من أقصى الحنك بحيث يكون بينهما فراغ ينفذ منه الهواء محدثا صوتا احتكاكيا. ولذلك فالأصوات الانفجارية أصوات "آنية" أما الأصوات الاحتكاكية فأصوات "متمادة" بمعنى أنه يمكن الاستمرار في نطقها ما أسعف النفس. وانفصال الأعضاء في نطق الصوامت الانفجارية يتفاوت سرعة وبطئا، فإذا كان انفصالها بطيئا بحيث لا يحدث انفجار واضح، بل يسمع عند إطلاق الوقف صامت احتكاكي، سمي الصوت الذي يتكون بهذه الكيفية "انفجاريا احتكاكيا". والصامت "الانفجاري الاحتكاكي" نوع من الانفجار يحدث في تكوينه أن يتبع إطلاق الانفجاري مباشرة بالاحتكاكي المقابل له، أي بالاحتكاكي الذي يتكون في نفس الموضع الذي يتكون فيه الانفجاري. وهذا الصوت الاحتكاكي الذي يعد جزءا جوهريا من الانفجاري الاحتكاكي يسمع لأن الأعضاء المشتركة في نطق الانفجاري تنفصل ببطء. و"للانفجار الاحتكاكي" درجات مقابلة لدرجات سرعة انفصال الأعضاء، فإن كان الانفجار الاحتكاكي ضئيلا أدرك الصوت مع الانفجارية، أما إن كان

الانفجار الاحتكاكي شديدا بحيث يدرك السامع بوضوح الاحتكاكي المقابل للانفجاري، وصف الصوت بأنه "انفجاري احتكاكي".

ولما كان كل صوت انفجاري يقابله صوت احتكاكي، أمكن أن ينطق كل صوت انفجاري مقابل له "انفجاري احتكاكي".
ومن المعروف أن الأصوات العربية، التي تكون النظام الصوتي لفصحانا هذه الأيام، ليس من جمتلها أصوات انفجارية احتكاكية إلا أن بعض الأصوات الانفجارية الاحتكاكية مسموع في بعض العاميات العربية.
٢- تمثيل الانفجارية الاحتكاكية في الكتابة الصوتية:
١- جرت عادة الصوتيين على تمثيل الصوامت الانفجارية الاحتكاكية في الكتابة الصوتية برمز مكون من حرفين١ أولهما الحرف الذي يستعمل لتمثيل الصوت الانفجاري، وثانيهما الحرف الثاني يستعمل لتمثيل الاحتكاكي المقابل له [١].

٣-الصوامت الغناء:

تتكون الصوامت الغناء بأن يحبس حبسا تاما في موضع من الفم ولكن يخفض الحنك اللين فيتمكن الهواء من النفاذ عن طريق الأنف. ومن أمثال الصوامت الغناء الميم والنون.

١-الميم:يحبس الهواء حبسا تاما في الفم بأن تطبق الشفتان انطباقا تاما: يخفض الحنك اللين فيتمكن الهواء الخارج من الرئتين بسبب الضغط من النفوذ عن طريق الأنف، يتخذ اللسان وضعا محايدا١، يتذبذب الوتران الصوتيان.

(١) المرجع السابق ،ص١٣٩

فـــــالميم صـــــامت مجهـــــور شـــــفوي "= شـــــفتاني" أغـــــن.

٢- النون:يوقف الهواء في الفم وقفا تاما بأن يعتمد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا، يخفض الحنك اللين، وبهذا يتمكن الهواء الخارج من الرئتين بسبب الضغط من أن ينفذ عن طريق الأنف، يتذبذب الوتران الصوتيان أثناء نطق الصوت، فالنون العربية صامت مجهور سني أغن.

٤- الصوامت المنحرفة [١]**:**

تتكون الصوامت "المنحرفة" بوضع عقبة في وسط المجرى الهوائي مع ترك منفذ للهواء عن طريق أحد جانبي العقبة، أو عن جانبيها، ومن هنا كانت تسميتها بالمنحرفة "أو الجانبية" ومن أمثلتها أصوات اللام في العربية، والإنجليزية والفرنسية.

١-اللام العربية:يعتمد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا بحيث تنشأ عقبة في وسط الفم مع ترك منفذ للهواء عن إحدى حافتي اللسان، أو عن حافتيه، يرفع الحنك الأعلى فلا ينفذ الهواء عن طريق الأنف، يتذبذب الوتران الصوتيان.

فـــاللام العربـــي صـــامت مجهـــور ســـني منحـــرف "= جـــانبي".

ولقد لاحظ نحاة العربية أن المتكلمين العرب يستعملون نوعين رئيسيين من اللام، اللام المفخمة، واللام المرققة: الأولى كلام "والله" والثانية كلام "لك". وقد ذكروا الظروف التي تحدد نطق اللام مفخمة وتلك التي تحدد نطقها مرققة، إن الشكل الذي يتخذه جسم الإنسان، أي الجزء الرئيسي منه في نطق اللام، عنصر أساسي في تحديد صوت اللام.

---

(١)محمود السعران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص ١٤٢

٢-أمـا الـلام الإنجليـزي فهـو "لثـوي". والإنجليزيـة، كـذلك تسـتعمل نـوعين رئيسيين من الـلام، الـلام المفخمـة وتسـمى "Dark L "أي الـلام المعتمـة أو القاتمــة"، والــلام المرققــة، وتســمى "Clear L" "أي الــلام الصــافية أو المشرقة"، ويتعين نطق اللام في الإنجليزية "مفخمة إذا وقعت قبل أي صوت صـامت كمـا فـي Field، أو متطرفـة كمـا فـي Pill و Feel. ويتعـين نطقهـا مرققة إذا وقعت قبل أي صوت صائت، كما في Late أو قبل صوت الياء كما في Million.

والفارق بين الأنواع المرققة من اللام وبين الأنواع المفخمة هو فارق في "الـرنين" ففـي المرققـة يرتفـع وسـط اللسـان تجـاه الحنـك الصـلب "= وسـط الحنك" فيكون له رنين شبيه برنين "الصوائت الأماميـة" "مثل يـاء "في"،أمـا في المفخمة فيرتفع أقصى اللسان نحو "الحنك اللين" "= أقصى الحنك" فيكون له رنين شبيه برنين "الصوائت الخلفية" "مثل ألف "قال".

٥- الصوامت المكررة [١]:

تتكون الصوامت المكررة نتيجة لطرقات سريعة متتابعة من عضو مرن: مثل طرف اللسان، كما في الراء العربي "ر" أو مثل اللهاة كما في الراء الفرنسي "R".

١- الراء العربي: يتكون صوت الراء العربي بأن تتابع طرقات طرف اللسان على اللثة تتابعا سريعا، ومن هنا كانت تسمية هذا الصوت بالمكرر. "وهذه الطرقات لا تحدثها حركة عضلية واعية من طرف اللسان، فالذي يحدث أن طرف اللسان يوضع سمحًا في موضعه المناسب، ويذبذبه العمود الهوائي".

(١) المرجع السابق ،ص١٤٢

ويحدث الوتران الصوتيان نغمة عند نطق الراء، فالراء العربي صامت مجهور لثوي مكرر.

٢-الراء الفرنسي: يتكون الصوت الفرنسي الذي يرمز له بـ"R" بأن تذبذب "اللهاة" أي بأن تطرق طرقات سريعة متتابعة" على أقصى اللسان. ويحدث الوتران الصوتيان نغمة موسيقية عند تكوين الصوت. فالراء الفرنسي صامت مجهور لهوي مكرر.

٦- الصوامت المستلة، أو المستلبة، أو المفردة:

تتكون الصوامت المستلة "= المستلبة، المفردة" بإحداث طرقة واحدة من عضو مرن، كطرف اللسان، على عضو آخر، كاللثة، بحيث لا يستغرق الاتصال زمنا ملحوظا، ومن أمثلة هذه الأصوات "الراء المستلة". ، حيث تتكون "الراء المستلة" كما تتكون "الراء المكررة" ولكن ليس فيها إلا طرقة واحدة من طرف اللسان على اللثة. ويحدث الوتران الصوتيان عند نطقها نغمة موسيقية. فهذه الراء صامت مجهور لثوي مستل. وبعض المتكلمين بالإنجليزية الأدبية يستعملون هذه الراء موضع "الراء الاحتكاكية"٦، وخاصة عندما تتوسط هذه الراء صوتين صائتين كما في كلمة "very "veri".

٧- الصوامت الاحتكاكية [١]

١- تتكون الصوامت الاحتكاكية بأن يضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع بحيث يحدث الهواء في خروجه احتكاكا مسموعا.

(١) المرجع السابق ،ص١٤٣

٢- والصوامت العربية التي يصدق عليها هذا الوصف هي:

المهمـــوس	المجهـــور
ف	-
ث	ذ
-	ظ
س	ز
ص	-
ش	
خ	غ
ح	ع
هـ	

وهذا وصف للصوامت العربية الاحتكاكية:

١-الفاء:يتكون الفاء بأن تضغط الشفة السفلى على الأسنان العليا بحيث يسمح للهواء أن يشق طريقه بينهما وخلال الثنايا، يرفع الحنك اللين، فلا يمر الهواء خلال الأنف، لا يتذبذب الوتران الصوتيان،فالفاء صامت مهموس شفوي - سني احتكاكي.

والنظير المجهور للفاء هو "الفاء" "v"، وليس من جملة الأصوات العربية، وهو شائع في اللغات الأوروبية. وأخذ يجري على ألسنة المثقفين العرب، ولا سيما عند نطق الأعلام الأوروبية التي تشتمل عليه، مثل "فيينا"، ويتكون هذا الصوت كما يتكون الفاء إلا أن الوترين الصوتيين يتذبذبان أثناء نطقه.
٢- الثاء:يحدث الثاء بأن يوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا، بحيث يكون هناك منفذ ضيق للهواء، ويكون معظم جسم اللسان مستويا، يرفع الحنك

اللين، فلا ينفذ الهواء عن طريق الأنف، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان، فالثاء صامت مهموس مما بين الأسنان احتكاكي.

٣- الذال: وهو النظير "المجهور" للثاء. أي أن الذال يختلف عن الثاء في شيء واحد هو أن الوترين الصوتيين يتذبذبان عند نطقه، فهو مصحوب بنغمة موسيقية،فالذال صامت مجهور مما بين الأسنان احتكاكي.

٤- الظاء:يتكون الظاء بنفس الطريق التي يتكون بها الذال، إلا أن شكل اللسان معه غير شكله مع الذال. ففي الظاء "إطباق"، أي أن اللسان يتخذ نفس الشكل الذي يتخذه في نطق الضاد، والطاء -وقد مر وصفهما- والصاد، فالظاء صامت مجهور مما بين الأسنان احتكاكي مطبق.

والنظير المهموس للظاء ليس من جملة الأصوات العربية، ويمكن تقريبه بأن نقول إنه "مطبق الثاء"، أي أن بين هذا الصوت وبين الثاء ما بين الصاد والسين مثلا [١].

٥- السين:يحدث السين بأن يعتمد طرف اللسان على اللثة بيما يرفع وسط اللسان نحو الحنك الأعلى، ويكون الفراغ بين طرف اللسان وبين اللثة قليلا جدا، يرفع الحنك اللين، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان،فالسين صامت مهموس لثوي احتكاكي.

ويلاحظ أن هذا الصوت لا يتأتى نطقه لو فتح الفم، أثناء تكوينه، إلى حد كبير، بل إنه ليحدث في نطق كثيرين للسين أن تتلاقى الأسنان العليا والأسنان السفلى.

كما أنه من الممكن أن يتكون السين بأن يعتمد ذلك اللسان، لا على اللثة، ولكن على الأسنان السفلى، أو على الثنايا السفلى، وقد لاحظ ذلك بعض النحاة العرب.

---

(١) المرجع السابق ، ص١٤٥

٦- الزاي:وهو النظير المجهور للسين. فهو صامت مجهور لثوي احتكاكي.
٧- الصاد:الصاد مطبق السين، أي أنه يتكون بنفس الطريقة التي يتكون بها السين إلا أن فيه "إطباقا"،فالصاد صامت مهموس لثوي احتكاكي مطبق. والنظير المجهور للصاد هو "مطبق" الزاي، أي أنه يتكون كما يتكون الزاي إلا أنه فيه إطباقا، فهذا الصوت صامت مجهور لثوي احتكاكي مطبق.
وهو من جملة أصوات العامية المصرية، وهو الصوت الأول في نطقنا العامي لكلمة "ضابط".
٨- الشين:يتكون الشين العربي بأن يرفع "ذلق" اللسان٤ و"طرفه" "= ومقدمه" نحو مؤخر اللثة، بينما يكون كل الجزء الأساسي من جسم اللسان مرفوعا نحو الحنك الأعلى في نفس الوقت. ويكون الفراغ بين مقدم اللسان ومؤخر اللثة ضيقا، ولكنه أوسع من الفراغ الكائن في نطق السين، وإن كان العمود الهوائي، فيما بين سائر اللسان والحنك، أضيق من العمود الهوائي بين هذين العضوين في حالة السين [١].
وفي نطق الشين تتقارب الأسنان السفلى والعليا؛ إذ لا يتأتى تكوين هذا الصوت إذا اشتد انفتاح الفم. يرفع الحنك اللين. ولا يتذبذب الوتران الصوتيان، فالشين صامت مهموس لثوي - حنكي احتكاكي. والنظير المجهور للشين هو النطق العامي للجيم في سوريا وبعض بلاد المغرب، وهو مثل الصوت الأخير في كلمة "rouge" الفرنسية "= روج".
٩- الخاء:الخاء في عربيتنا الفصحى، هذه الأيام، يتكون بأن يقرب أقصى اللسان من أقصى الحنك بحيث يكون بينهما فراغ ضيق يسمح للهواء بالنفاذ محدثا احتكاكا، يرفع الحنك اللين، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان. فالخاء صامت مهموس حنكي - قصي احتكاكي

(١) محمود السعران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص ١٤٧

١٠- الغين:وهو النظير المجهور للخاء،فالغين صامت مجهور حنكي - قصي احتكاكي.

١١- الحاء:يحدث احتكاك هذا الصوت في الفراغ الحلقي أعلى الحنجرة؛ إذ يضيق المجرى الهوائي في هذا الموضع بحيث يحدث مروره احتكاكا، يرفع الحنك اللين، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان،فالحاء صامت مهموس حلقي احتكاكي.

١٢- العين:وهو النظير المجهور للحاء، أي أن العين يتكون حيث يتكون الحاء، وكما يتكون الحاء إلا أنه تصاحبه نغمة موسيقية إذ يتذبذب الوتران الصوتيان عند تكوينه،فالعين صامت مجهور حلقي احتكاكي.

١٣- الهاء: هو صوت النفس الخالص الذي لا يلقى مروره اعتراضا في الفم. وللسان أن يتخذ، في نطق الهاء، أي موضع من المواضع التي يتخذها في نطق "الصوائت"، ومن ثم فمن المستطاع نطق أنواع من الهاء قدر ما يستطاع نطقه من أنواع "الصوائت". ولذلك أمكن اعتبار أصوات الهاء "صوائت مهموسة"، أي صوائت يصاحبها همس لا جهر. والهاء العربي يتكون عندما يتخذ الفم الوضع الصالح لنطق صوت صائت "كالفتحة مثلا"، ويمر الهواء خلال الانفراج الواسع الناتج عن تباعد الوترين الصوتيين بالحنجرة محدثا صوتا احتكاكيا، يرفع الحنك اللين ولا يتذبذب الوتران الصوتيان،فالهاء العربي صامت مهموس حنجري احتكاكي.

٨- الصوامت المتمادة غير الاحتكاكية:

يطلق هذا المصطلح على بعض صوامت مجهورة تتكون في نفس المواضع الملائمة لتكوين صوامت احتكاكية، ولكن لا يسمع في نطقها احتكاك: إما لأن قوة النفس "= الزفير" في تكوينها أضعف من تلك المستخدمة في نطق الاحتكاكية المقابلة لها، وإما لأن درجة انفتاح الأعضاء عند موضع النطق

تكون أوسع منها عند نطق الاحتكاكية المقابلة لها، وإما لاجتماع هذين العاملين.

ومن أمثلة الصوامت المتمادة غير الاحتكاكية نطق كثير من الإنجليز للراء الإنجليزية. فالشائع في الراء الإنجليزية أن تنطق "صامتا مجهورا لثويا احتكاكيا، ولكن كثرة من الإنجليز تجعل الفتحة بين "ذلق" اللسان وبين اللثة أوسع شيئا من تلك اللازمة لإحداث الراء الاحتكاكية، وتستخدم قوة زفير أضعف من المستخدمة عادة في تكوين الراء الاحتكاكية، فينتج عن هذا أن الراء التي ينطقونها تكون "متمادة"، أي يدوم نطقها ما أسعف النفس، ولكن لا يسمع معها احتكاك، فتوصف أنها "متمادة غير احتكاكية".

٩- أشباه الصوائت [1]**:**

يطلق هذا المصطلح على "صوائت انزلاقية" يحدث فيها أن تبدأ الأعضاء بتكوين "صائت ضيق"ه "كالكسرة مثلا" ثم تنتقل بسرعة إلى "صائت" آخر أشد "بروزًا"، ولا يدوم وضع الصائت الأول زمنا ملحوظا.

والذي يدعو إلى إدراج هذه الأصوات تحت طبقة "الصوامت" هو ما تتميز به من انتقال سريع مع ضعف في قوة النفس "= الزفير".

وفي العربية صوتان ينطبق عليهما هذا الوصف هما الواو، مرادا بها مثل واو "وجد" والياء، مراد بها مثل ياء "يزن".

١- الواو: تبدأ أعضاء النطق في اتخاذ الوضع المناسب لنطق نوع من "الضمة" "u"، ثم تترك هذا الوضع بسرعة إلى وضع صائت آخر. وتختلف نقطة البدء اختلافا يسيرا فيما بين المتكلمين وحسب الصائت التالي. تنضم الشفتان، ويرفع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك، ويسد الطريق إلى الأنف

(١) المرجع السابق ،ص١٤٩

بـــأن يرفـــع الحنـــك اللـــين، ويتذبـــذب الـــوتران الصـــوتيان. فـــالواو "w" شـــبه صـــائت مجهـــور شـــفوي حنكـــي – قصـــي.
٢- الياء:تتكون الياء بأن تأخذ الأعضاء الوضع المناسب لنطق صائت من نوع الكسرة "i" ثم تنتقل منه بسرعة إلى موضع صائت آخر أشد "بروزا"، وهذا الانتقال السريع من الكسرة "i" هو الذي يكون الصامت المعروف بالياء.

ونستطيع أن نصف بدء هذا الصوت بأن نقول إن وسط اللسان يرفع عاليا تجاه الحنك الصلب "= وسط الحنك" و"تكسر" الشفتان، يسد الطريق إلى الأنـــف بـــأن يرفـــع الحنـــك اللـــين، يتذبـــذب الـــوتران الصـــوتيان، فالياء "y" شبه صائت مجهور مكسور "= غير مضموم" حنكي - وسيط.

جـ - تصنيف الصوامت حسب "موضع النطق" :

عرضنا في خلال وصفنا للأصوات، مصنفة حسب "طريقة النطق"، للأعضاء التي تشترك في تكوين كل صوت، ولوضع تلك الأعضاء، ولقد رأينا أن من هذه الأعضاء وأوضاعها "كحالة الوترين الصوتيين" ما يتخذ أساسا لتصنيف الأصوات إلى "مهموسة" أو "مجهورة" "أو لا مهموسة ولا مجهورة كهمزة القطع"؛ ومنها -كشكل اللسان، وانفتاح الممر إلى الأنف أو انسداده- ما يحدد شكل المجرى الهوائي فيساعد على تصنيف الأصوات من حيث طريقة نطقها "فنقول: هذا الصوت انفجاري، أو منحرف ... إلخ". وورد في تعريفاتنا لتكوين الأصوات تحديد ما كان يسميه العرب "مخرج الحرف"، وما يسميه المحدثون في الغرب "موضع النطق" فعندما نعرف "النون" بأنه صامت مجهور سني أغن"، فإن قولنا: "سني" يحدد "موضع

نطق" هذا الصوت، ولكن ليس معنى هذا أنه بالضرورة أن الأسنان وحدها هي "موضع النطق"، فالأسنان يعتمد عليها طرف اللسان بشكل خاص، ولكن إيثارا للإيجاز يدل على موضع النطق بالعضو الثابت -وهو اللثة- الذي يلتقي به طرف اللسان. وكذلك "الراء" توصف حسب موضع النطق بأنها "لثوية"، وليست اللثة وحدها هي الموضع "أو المخرج"، فاللسان شريك اللثة، والتقاؤهما على هيئة مخصوصة هو الذي يحدد "موضع النطق".

٢- وفيما يلي مواضع نطق الأنواع الرئيسية للأصوات الأساسية في لغات العالم [١]:

١- الشفتان: ويوصف الصوت بأنه "شفتاني" "كالميم والواو".

٢- الشفة السفلى والأسنان العليا: ويوصف الصوت بأنه "شفوي سني" "كالفاء، والفاء".

٣- الأسنان: ويوصف الصوت بأنه "سني" "كالتاء والدال والنون واللام".

٤- ما بين الأسنان، ويوصف الصوت بأنه "مما بين الأسنان "كالثاء، والذال، والظاء".

٥- اللثة: ويوصف الصوت بأنه "لثوي" كالراء المكررة".

٦- اللثة ومقدم الحنك الأعلى: ويوصف الصوت بأنه "لثوي حنكي" "كالشين".

٧- مقدم الحنك الأعلى: ويوصف الصوت بأنه "حنكي وسيط".

٨- أقصى الحنك الأعلى: ويوصف الصوت بأنه "حنكي قصي" "كالكاف، والخاء، والغين".

٩- اللهاة: ويوصف الصوت بأنه "لهوي" "كالكاف".

١٠- الحلق: ويوصف الصوت بأنه "حلقي" "الحاء والعين".

---

(١) المرجع السابق ،ص١٥١

١١- الحنجرة: ويوصف الصوت بأنه "حنجري" كهمزة القطع، والهاء".

د- تصنيف الصوائت:

١- يتضح من التعريف الذي قدمناه للصوائت أن الصفة الأساسية المميزة للصوائت تقوم على شكل ممر الهواء المفتوح فيما فوق الحنجرة، فهذا الممر يكون صندوقا رنانا يغير من طبيعة الصوت الناتج عن ذبذبة الوترين الصوتيين. فالأشكال المختلفة التي يتخذها هذا الممر تغير طبيعة الصوت على أشكال مختلفة، ومن ثم فهي تسبب ظهور صوائت متمايزة، واللسان والشفتان هما العضوان الأساسيان اللذان لهما دخل في تغيير شكل الممر الهوائي في حالة الصوائت، ويستطيع المبتدئ أن يلاحظ وضع اللسان في نطق الصوائت المختلفة وذلك بأن ينظر في مرآة، وهو فاتح فمه إلى أقصى ما يستطيع، ثم يأخذ في نطق صوائت مثل ألف "قال"، ثم باء "بيع"، ثم كسرة "من"، ثم كسرة "تبن"، ثم فتحة "صبر"، ثم ضمة "صم". وسيجد أنه في نطق ألف "قال" وضمة "صم"، وفتحة "صبر" يكون الجزء الخلفي من اللسان هو صاحب الشأن الأكبر في تشكيل الممر الهوائي الخاص بكلا هذين الصوتين، أما في نطق ياء "بيع" فإن الجزء "الأمامي" من اللسان يرفع "في اتجاه الحنك الأعلى" إلى درجة كبيرة، وهو أقل ارتفاعا في نطق كسرة "تبن" مثلا. أما في نطق الصوتين الصائتين في الكلمتين العاميتين المصريتين "بيت" و"بيض" فإنه يرفع من اللسان جزء وسط بين أمامية وخلفية. ومن ثم فالصوائت تصنف إلى "أمامية" "وخلفية" "ووسطى" "= وواسطية، ومركزية " حسب الجزء الذي يرفع من اللسان، وتصنف إلى "ضيقة" و"نصف ضيقة" "= شبه ضيقة" و"نصف مفتوحة" "= شبه مفتوحة" و"مفتوحة"٤ وذلك حسب درجة رفع اللسان. وهكذا فياء "بيع" "صائت أمامي ضيق"، وألف "باء" "صائت أمامي نصف مفتوح" وألف

"قال" "صائت خلفي مفتوح"، وضمة "صم" "صائت خلفي نصف مفتوح"، وضمة "بكور" "صائت خلفي ضيق"، وكسرة "بيت" "في العامية المصرية" "صائت وسطى نصف مفتوح".

٢- وللشفتين -كما ذكرنا- دخل كبير في تكوين الأصوات الصائتة بالإضافة إلى اللسان. قد "تنضم" الشفتان، أو "تكسران"، أو "تتخذان وضعا محايدا" تنضم الشفتان كما يحدث في نطق "الضمة" و"الضمة الطويلة"، وتكسران في نطق الكسرة والكسرة الطويلة، وتفتحان بصورة محايدة في نطق الفتحتين. ولكل من الضم والفتح والكسر درجات كثيرة.

٣- والصوائت العربية الأساسية هي "الفتحة"، و"الكسرة"، و"الضمة" والألف الممدودة اللينة، أو "الفتحة الطويلة" "كما في "قال"، والياء الممدودة اللينة، أو "الكسرة الطويلة" "كما في "بيع" والواو الممدودة اللينة، أو "الضمة الطويلة" "كما في "روح".

هـ- الصوائت المركبة [1]**:**

١- من الأصوات ما يوسم بأنه "صائب مركب" فما الفرق بينه وبين ما وصفناه بأنه "صائت"؟ مما يميز "الصائت" من "الصائت المركب" أن أعضاء النطق في تكوين الأول تظل في موضعها الخاص مدة ملحوظة من الزمان.

أما "الصائت المركب" فقد جرى العرف على اعتباره ارتباطا من صوتين صائتين ينطقان بحيث يكونان مقطعًا واحدًا لا مقطعين،وهو في واقع الأمر "صوت انزلاقي": إنه صوت صائت يتضمن" انزلاقا" مقصودا؛ إذ تبدأ أعضاء النطق متخذة الوضع الخاص بصائت من الصوائت ثم تنتقل مباشرة نحو الوضع الخاص بصائت آخر. ويميز "الصائت المركب" كذلك أنه يتكون من "مقطع" واحد، أي أن "الانزلاق" أو "الانتقال"، من الصائت الأول إلى

(١) المرجع الساق ، ص١٥٣-١٥٥

الصائت الثاني ينبغي أن يتم بدفعة واحدة من النفس، أما إذا تم هذا "الانزلاق" بأكثر من دفعة واحدة من النفس فإن السامع يسمع مقطعين اثنين متواليين لا مقطعًا واحدًا: ويسهل إدراك هذا بأن ننطق نطقا بطيئا "الصائت المركب" الإنجليزي "ai" ثم ننطق الصوت الصائت الإنجليزي "a"، وبدفعة جديدة من النفس نتبعه بنطق الصائت الإنجليزي "i" "دون أن نبدأ هذا الصائت بهمزة قطع، وهذا أصعب على أصحاب العربية إذ لا تبدأ كلمة عربية بصوت صائت غير مسبوق بصوت صامت"، سنجد أن نطقنا "لـ "ai" بدفعة واحدة من النفس يكون مقطعا واحدا، وهو "صائت مركب"، أما نطقنا للصائتين بالصورة التي مثلناها ثانية فسنجد أنه يكون مقطعين وهو لذلك ليس "صائت مركبا".

٢- يتضح من وصفنا للصائت المركب أنه يتكون بالبدء من موضع أي صائت والاتجاه إلى موضع صائت آخر، ولما كانت الصوائت كثيرة كان عدد "الصوائت المركبة" احتمالا، كبيرا جدا. واللغات تتفاوت في عدد الصوائت المركبة التي تستعملها، وأغلب المتكلمين الإنجليز يستعملون تسعة صوائت مركبة ليس غير منها تلك التي يرمز إليها بـ"au"،"ei"،"ai".

٣- وقد لوحظ أن أحد طرفي "الصائت المركب" يكون عادة أشد "بروزا" أو "جهرة" "، و"الصائت المركب" يسمى "هابطا" أو "نازلا" إن كان طرفه الأول أبرز أو أشد جهرة من طرفه الثاني، "أي أنه سمي كذلك باعتبار ما يصير إليه" ويسمى "صاعدا" أو "طالعا"، إن كان طرفه الثاني أبرز أو أشد جهرة من طرفه الأول. وتتصف "الصوائت المركبة" الإنجليزية جميعا بأنها "صوائت مركبة هابطة" .

(شاهد الفيديو)

مراجع الكتاب

- جـــون ليـــونز: اللغـــة وعلـــم اللغـــة، دار النهضـــة العربيـــة

- د.رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي،مكتبة الخانجى ،القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م

- د. صبحي إبراهيم الصالح: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين ، ١٩٦٠م

– علي عبد الواحد وافي :

فقـــه اللغـــة ، نهضـــة مصـــر للطباعـــة والنشـــر ،القـــاهرة ،ط٣، ٢٠٠٤م

علم اللغة ، نهضة مصر للطباعة والنشر ،القاهرة ،ط٩، ٢٠٠٤م

- غـــازي طليمـــات : فـــي علـــم اللغـــة ، دار طـــلاس ، ط٢،٢٠٠٠م

- د. محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

- محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط ٢، ١٩٩٧م